دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

# الباراكليت

## الروح القدس في حياة الناس

الأب متى المسكين

كتاب: الباراكليت.
الروح القدس في حياة الناس (١٩٦١)
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: مايو ١٩٦١
الطبعة الثانية: يونية ١٩٧٣
الطبعة الثالثة: ضمن كتاب: "الروح القدس الرب المحيي"
الطبعة الرابعة: ٢٠٠٢
الطبعة الخامسة: ٢٠١٢
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون
ص.ب ٢٧٨٠ – القاهرة
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٠٣٠٤ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي: ISBN 977-240-133-9
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

# المحتويات


| | صفحة |
|---|---|
| **مَن هو الروح القدس؟** | ٥ |
| للقديس باسيليوس | ٥ |
| للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات | ٧ |
| **الفصل الأول**: الاسم ومدلوله العملي | ٩ |
| الباراكليت | ١٠ |
| **الفصل الثاني**: رسالة الباراكليت | ١٩ |
| الباراكليت في حياة الناس | ٢٠ |
| أولاً: الانسكاب | ٢٠ |
| ثانياً: الحلول والامتلاء | ٢٧ |
| ١ ــ الحلول بالكلمة | ٣٠ |
| ٢ ــ الحلول بالأسرار | ٣٨ |
| ٣ ــ الحلول بالصلاة | ٥٧ |
| **الفصل الثالث**: عوائق الحلول والامتلاء من الروح القدس | ٧٥ |
| أولاً: المادية في المسيحية | ٧٦ |
| ثانياً: الشكلية في المسيحية | ٨١ |
| ثالثاً: الآلية في المسيحية | ٨٣ |
| رابعاً: الدعاية في المسيحية | ٨٥ |
| خامساً: الاحتكارية في المسيحية | ٨٩ |
| سادساً: الاستيلائية في المسيحية | ٩١ |
| سابعاً: الانفصالية في المسيحية | ٩٥ |
| ثامناً: الانغلاقية التصوفية | ٩٧ |
| تاسعاً: اللاهوتية العقلية في المسيحية | ١٠١ |

# مَن هو الروح القدس؟

جوهر إلهي عاقل لا حدود لمقدرته، لا نهاية لعظمته،
فوق الإحساس الزمني وغير خاضع للدهور،
واهب لخيراته الخصوصية.
كل الخليقة تتجه نحوه في عوز وفقر شديد لتقديسه،
كل الخلائق التي تتنفس الحق هي تابعة له بالضرورة وملتحفة به،
يُنعشها بالإلهام ويقودها برفق حتى يُبلِّغها غايتها الكاملة.
هو المُتقِن لكل الأشياء والساكب الحياة على العالم.
حضرته كليَّة في الزمان والمكان، فلا وجود لشيء إلاَّ به.
مصدر التقديس والنور الذي لا يُدرَك إلاَّ بحاسة العقل الروحي.
يُشرق ذاته على الخليقة العاقلة الباحثة عن الحق، فتتمثَّله كطاقة استعلان واستنارة للرؤيا.
حسب طبيعتنا الحسية لا يمكن أن ندنو منه،
ولكنه مُدرَك بانتباهة العقل المنعطف ناحية الخير.
الأشياء مملوءة طبيعياً بقوته،
ولكنه لا يتصل شخصياً إلاَّ بالخليقة المنفتحة له.
ليس لمعطائيته مقياسٌ واحد،
ولكنه يُقسِّم مواهبه حسب نسبة الإيمان.

في جوهره بسيط،
في طاقته متعدِّد ومتنوِّع!
موجود بكلِّه وتمامه في كلِّ واحد، وكلُّه موجود في كلِّ مكان.
يتوزَّع بلا انقسام في صفاء وبغير اضطراب.
يتقاسمه آخذوه دون أن يفقد كليته، كشعاع النور الذي يوصِّل لك الشمس في رفق وتلطُّف وكأنما هي مشرقة لك وحدك مع أنها مشرقة على الدنيا كلها.
فالروح هكذا لكل مَن يتقبَّله،
يكون كأنه له وحده مع أنه باعث لنعمته بكفاية وكمال لكل بني الإنسان.
الكل يتعزَّى به كقدر طاقته، لا كقدر طاقة الروح في ذاته.
هو القوة التي تُقيم الحياة،
وهو الذي بواسطته اقتبل الإنسان حالة التبنِّي،
وتحوَّل فيه الموت إلى عدم موت.

مقتطفات من رسالة القديس باسيليوس
(عن الروح القدس)

## القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات

### نطق بهذه الكلمات بعد قبوله رعاية كنيسة نزيانز

أنا فتحتُ فمي واجتذبتُ لي الروح القدس، ثم أعطيته نفسي وكل ما فيَّ!!

نشاطي كله وسكوني، كلامي وصمتي،

الكل سلَّمته للروح القدس ولا أطلب إلاَّ أن يسندني ويقودني،

يوجِّه عقلي ولساني ويدي إلى الحق كما يشاء،

ويضبطني في حدود الصواب والمنفعة.

أنا آلة الله، آلة عاقلة، آلة مشدودة متناغمة باليد الحاذقة، يد الروح القدس.

بالأمس كان عمل الروح فيَّ منحبساً في السكوت...

وكنتُ أنا منحصراً بدهشي وتأملاتي عازفاً عن الحديث.

واليوم وقَّع الروح في أعماقي أول أنغامه لأنطق به وأعلِّم،

فانقلبت تأملاتي كلاماً، ودهشي حديثاً للناس!!

أنا لستُ مُكثراً للكلام كمَن يحب الأحاديث عندما ألمح الروح منعطفاً فيَّ نحو السكوت.

ولا أنا مُكثر في الصمت كجاهل يضبط شفتيه في وقت يلزم فيه الكلام،

أنا أفتح بابي وأُغلقه وِفق "عقل" الله و"كلمته" و"روحه"، الله الواحد بلاهوته.

# الفصل الأول

# الاسم ومدلوله العملي

معنى الباراكليت:

١ ـ الاتجاه الأول لمعنى الباراكليت: محامي البشرية وشفيع الكنيسة.

٢ ـ الاتجاه الثاني لمعنى الباراكليت: المعزِّي.

٣ ـ تقابُل المعنى الأول مع المعنى الثاني.

# الباراكليت

## παράκλητος

هو الاسم الخصوصي الذي أطلقه الرب على الروح القدس، الأقنوم الثالث لله الواحد.

وكلمة باراكليت، كلمة يونانية قديمة، مكوَّنة من مقطعين، **الأول**: "**بارا** παρά" ويفيد "الملازمة"؛ **والثاني**: "**كليتوس** κλητος" ويفيد "الدعوة للمعونة"(١).

أما المعنى النهائي للكلمة فهو ينحصر في اتجاهين:

**١ ـ الاتجاه الأول:**

لغوي ويتخذ قوته في ميدان التطبيق العملي، أي في عمل الروح القدس بالنسبة لحياتنا الحاضرة، وهنا يكون معنى الباراكليت: **الشفيع أو المحامي**.

**٢ ـ الاتجاه الثاني:**

وجداني ويتخذ قوته في ميدان التفسير الروحي القائم على عمل الروح القدس داخلنا، وهنا يتجه معنى الباراكليت إلى **التعزية الروحية**.

---

(١) *Biblical Encyclopaedia.*

ونحن سنعرض أمام القارئ كِلاَ الاتجاهين في حدود ما تحتمله كلمة "باراكليت"، لا بصورة بحث علمي، لأن هذا ليس اختصاصنا؛ وإنما على مستوى عملي ليستوعب القارئ هذين الاتجاهين في حياته العملية والباطنية معاً، أي ليتخذ الروح القدس شفيعاً له ومحامياً في جهاده مع الدنيا، ثم معزِّياً له ومريحاً لنفسه ولروحه.

## الاتجاه الأول لمعنى الباراكليت:

حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها، كما وردت في النصوص التفسيرية، نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي يُمكِّنه القانون من **الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر**(٢).

وقد وردت في اصطلاحات الربِّيين اليهود بهذا المعنى، وبالذات في كتابات العلاَّمة فيلو اليهودي(٣) (وإنما كانت تُنطق باللغة العبرية هكذا: "البيراقليطا"، وهذا النطق عينه هو الذي اشتُقَّ منه نُطق الكلمة باللغة العربية "البراقليط"، لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية)، كما رأينا سابقاً في كتاب: "العنصرة"(٤).

ووردت أيضاً بهذا المعنى في كتابات الآباء الرسوليين، وبالذات في رسالة برناباس(٥).

---

(٢) Ibid.

(٣) Loesner, *Observ. Ex. Phil.*, p. 496.

(٤) راجع كتاب: "العنصرة".

(٥) *Epistle of Barnabas,* ANF, Vol. I, Ch. 20.

وتوجد وثيقة في كنيسة فيينا ليوسابيوس القيصري، وردت فيها كلمة "الباراكليت" كصفة أُطلقت على شخصٍ تبنَّى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحيتهم. وهي مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه: "فتّيوس إيب أجاثوس" بـ "الباراكليتي" لأنه **حامَى عنهم وتشفَّع لهم جهاراً** مُعرِّضاً حياته للهلاك، فبرهن بشجاعته النادرة أنه كان يلبس حقًّا "الباراكليت" **الروح المتشفِّع**(٦).

وهذه الوثيقة تصوِّر كلمة "الباراكليت" تصويراً واقعياً حياً، إنما على مستوى بشري. ونحن لو رجعنا إلى الكتاب المقدس، لوجدنا هذا التصوير حقيقة واقعة، إنما على مستواه الإلهي الأصيل، إذ نقرأ عن الباراكليت نفسه هكذا:

+ «ولكن احذروا من الناس، لأنهم سيُسْلِمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادةً لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلَّمون، لأنكم تُعْطَوْن في تلك الساعة ما تتكلَّمون به، لأن **لستم أنتم المتكلِّمين بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم.**» (مت ١٠: ١٧ـ٢٠)

وهكذا يتجسَّم عمل الروح القدس "الباراكليت" كمدافع ومحامٍ يترافع في اللحظة المناسبة عن قضية مسيحيتنا!!

وهنا يتجه المعنى بوضوح إلى الناحية العملية من حيث جهادنا

---

(٦) *Clark's Theol. Lib.*, 4th Ser., Vol. VII, p. 215.

المسيحي مع العالم. كذلك لو فحصنا كلمة "الباراكليت" في جميع المواضع التي ذُكِرَت فيها في الكتاب المقدس، نجدها تتجه غالباً ناحية وظيفة المحاماة والتشفُّع النيابي عنا على مستوى إلهي غالب تجاه مواقف العالم الحرجة وفي محاكم الفكر البشري.

أما محور تشفُّع الروح القدس ومرافعاته فيتركَّز في الشهادة لحقيقة شخص المسيح ولصِدق مسيحيتنا!!

فكما أن المسيح هو باراكليت (شفيع) البشرية لدى الله الآب: «إن أخطأ أحد فلنا شفيع (باراكليت) عند الآب، يسوع المسيح البار.» (١يو٢: ١)[٧]،

هكذا الروح القدس هو باراكليت (شفيع) مسيحيتنا ضد العالم: «ومتى جاء المعزِّي (الباراكليت) الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روحِ الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦و٢٧)[٨]

وأول تطبيق لهذا الوعد نجده واضحاً جميلاً في الأصحاح الرابع من سفر الأعمال:

+ «وبينما هما يُخاطبان الشعب، أقبل عليهما (أي على الرسولَيْن بطرس ويوحنا) الكهنة وقائد جند الهيكل والصدُّوقيون، مُتضجِّرين من تعليمهما الشعب، وندائهما في يسوع بالقيامة

---

(٧) كلمة "باراكليت" تُرجمت إلى "شفيع".

(٨) وهنا كلمة "باراكليت" تُرجمت إلى "معزِّي".

من الأموات. فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبسٍ إلى الغد... وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنَّان رئيس الكهنة وقيافا... وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة. ولما أقاموهما في الوسط، جعلوا يسألونهما: بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟ فحينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال:...» (أع ٤: ١ـ٨)

إذن، فقد تمَّم المسيح وعده، وباشر الباراكليت عمله كمحامٍ وشفيع من الدرجة الأولى، أو على الأصح بصفة فائقة، لأن الكتاب يقول معقِّباً على خطاب بطرس الرسول و"محاماته"، إن الجميع تعجَّبوا لما سمعوا كلام بطرس ويوحنا وعجزوا عن أن يُفسِّروا سرَّ قوة الكلام، لأنه كان معروفاً لدى الجميع أن بطرس ويوحنا: «إنسانان عديما العلم وعاميان.» (أع ٤: ١٣)

و"الباراكليت" الروح القدس سيظل كاسمه محامي البشرية الفائق وشفيع الكنيسة المجاهدة في محنة الدنيا، ما بقيت الدنيا، وما بقيت محاكم الدنيا، وما بقيت قسوة الإنسان على أخيه الإنسان: «يمكث معكم إلى الأبد.» (يو ١٤: ١٦)

ولينتبه القارئ، فلابد من المحنة، ولكن لابد من النصرة، ونصرتنا منصبَّة في الشهادة للمسيح من عمق الألم والاضطهاد والاتهام، وشهادتنا ناطقة بقوة الروح القدس "باراكليت" الإنسان، المحامي الأول، نائب البشرية العام. ولا يندهش القارئ من تعبيراتنا، فترجمة

"باراكليت" باللاتينية هي: "أدفوكاتوس"، وبالفرنسية: "أفوكات" أي "محامي".

## الاتجاه الثاني لمعنى الباراكليت:

يميل جمهرة آباء الكنيسة الأولى المتضلعين بشئون التأويل والتفسير لكلمات الوحي، وأخصهم القديس أثناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس كيرلس الأورشليمي والقديس يوحنا ذهبي الفم والعلاّمة أوريجانوس، أن يعتمدوا كلمة "الباراكليت" على أنها تفيد معنى التعزية.

وقد اعتمدوا ذلك على أساس كتابي، كما ورد في سفر الأعمال بوضوح: «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلامٌ، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، **وبتعزية** الروح القدس كانت تتكاثر.» (أع ٩: ٣١)

وهنا نجد أن كلمة "تعزية" παρακλήσει تفيد عمل الباراكليت الذي ينصبُّ على معنى العزاء والتشجيع دون أي ميل إلى معنى الدفاع والمحاماة، لأن الكنائس «كان لها سلامٌ».

كذلك فإن الفعل "يُعزِّي" παρακαλέω لم يَرِد في أسفار العهد الجديد قط بمعنى المحاماة أو الدفاع، إذ ورد حوالي مائة مرة بمعنى: "يُعزِّي" أو "يُشجِّع" أو "يشير على".

كذلك أيضاً ورد فعل "يُعزِّي" بصيغة الأمر في العهد القديم في افتتاحية الجزء الثاني من سفر إشعياء هكذا:

Παρακλεῖτε παρακλεῖτε τὸν λαόν μου.

وترجمتها: «عزُّوا عزُّوا شعبي» (إش ٤٠:١)، التي هي في الواقع نبوَّة العهد الجديد، وتشير في غموض لذيذ إلى انسكاب الروح القدس المعزِّي.

وهذه النبوَّة بالذات كان لها رنين روحي عجيب في قلوب الأنبياء، وقد امتد صدى رنينها حتى سمعان الشيخ: «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر **تعزية** إسرائيل.» (لو ٢:٢٥)

وهكذا نرى أن كل المعاني المشتقة من كلمة "باراكليت" تتجه روحياً نحو التعبير عن التعزية الباطنية عِوَض الألم أو في الألم!

## تقابُل المعنى الأول مع المعنى الثاني:

لا يظن القارئ أنه يوجد اختلاف في تفسير معنى "الباراكليت". فالمحاماة والتشفُّع الذي اضطلع به الروح القدس عن الإنسان في ضيقات ومحن الدنيا، هو نفسه أساس عزاء الإنسان.

ومن وجهة نظر عملية، نحن لا يمكن أن نتقبَّل روح العزاء إلاَّ بعد المحنة أو في صميمها. وسيَّان إن كانت هذه المحنة هابطة علينا من العالم الباغض للحق، أو هي نابعة من أعماق أنفسنا عندما نرتد عن رزانة المحبة وحق المسيح؛ نعم، سيَّان، فالروح القدس يُعزِّي بأنْ يشفع لنا ضد العالم أو ضد أنفسنا!

"الباراكليت" يترافع عن الحق، وفي ترافعه يُبكِّت بشدة، يبكِّت كل ما هو خارج عن الحق، سواء كان العالم أو كانت أنفسنا.

إن وظيفة "الباراكليت" كمتشفِّع، لا تنطوي على معنى التستر على الإثم في أية صورة كانت، فهو شديد الوطأة في تشفُّعه، شديد الإقناع في تعزيته؛ ولكن يستحيل أن نبلغ إلى أعماق تعزياته إلاَّ إذا بلغ هو أولاً إلى أعماق تبكيتنا في معرض مرافعاته عن الحق والبر والدينونة والتعفف.

ونجد هنا ضرورة مُلحَّة أن نوجِّه الفكر إلى أن الباراكليت كمحامٍ أو "أفوكاتو" لا يسلبه حقه في الاتهام!! فهو ليس على مستوى المحامين في هذه الدنيا الذين يجاهدون في تبرئة موكِّليهم حتى ولو كانوا على عيب!

فالباراكليت لا يشفع في موكِّله كمحامٍ عنه إلاَّ بعد أن يقوم أولاً بالتبكيت كقاضي عدالة الله!!

هو يصفِّي عيوب الإنسان بتعنيف شديد قبل أن يطلب له البراءة. لذلك إن هو تشفَّع فهو ضمين العزاء، وإن هو عزَّى فعلى أساس تبرئة ذمة الإنسان أمام الله.

وهكذا يرى القارئ أن لا خلاف على وجه الإطلاق بين معنى "الباراكليت" معزِّياً، ومعناه "شفيعاً". وكل معنى يلتزم بالآخر أشد الالتزام.

والقديس أغسطينوس يقف مُصالِحاً بين المعنيين في ثقة واختصار فيقول: "إن المعزِّي والمحامي كلاهما تفسيرٌ لمعنى الباراكليت."(٩)

---

(٩) *On the Gospel of John,* Tract. XCIV, NPNF, 1st Ser., Vol. VII, p. 367.

## الفصل الثاني

# رسالة الباراكليت

رسالة الباراكليت يوضّحها العهد الجديد في ثلاثة اتجاهات:

الأول: الباراكليت في حياة المسيح.

الثاني: الباراكليت في حياة الكنيسة.

الثالث: الباراكليت في حياة الناس.

وسنقتصر في هذه الرسالة على الاتجاه الثالث.

# الباراكليت في حياة الناس

## أولاً: الانسكاب

+ «ينزل مثل المطر (الندى) على الجزاز، ومثل الغيوث الذَّارفة على الأرض.» (مز ٧٢: ٦)

[ هكذا صار لنا الوعد من قِبَل الأسفار السماوية.
ينسكب ندى الروح القدس كما ينسكب المطر على الأرض فيرويها.
الرب جاء ومعه المطر، وها نحن نستقي سرًّا من الروح القدس.
هذا ندى السماء الحق،
هذا مطر النعمة النازل علينا.
لا تحكمه قوة غريبة ولا يحده قانون.
هو الصاحب لسلطانه، يُقسِّم العطايا ويُعطي مَن يريد.][1]

**القديس أمبروسيوس**

كان ضمن طقوس اليوم الأخير من عيد المظال، كما يقول

(١) St. Ambrose, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. X.

التلمود(٢)، أن يذهب رئيس الكهنة مع رهط من بقية الكهنة واللاويين في احتفال رسمي إلى بركة سلوام، ويملأون جَرَّة فضية من ماء البركة ويعودون ليصبُّوها فوق المذبح أمام الشعب تذكاراً لإرواء شعب إسرائيل من الصخرة أربعين سنة.

وكان ضمن الطقس أن يهتف المرنِّمون بآية إشعياء النبي:

+ «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص،
صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون، لأن قدوس إسرائيل عظيمٌ في وسطك.» (إش ١٢:٣و٦)

كان هذا يجري بينما كان المسيح واقفاً في وسطهم يراقب سكب الماء من بطن الجرَّة ويستمع لنشيد الماء. وفي ختام الطقس وقف ليُعلن اكتمال النبوَّة وتفسير النشيد، فنادَى بصوت عظيم وقال:

+ «إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب.
مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي.
قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه،
لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن
قد مُجِّد بعد.» (يو ٧:٣٧ـ٣٩)

لقد تمَّ قول الرب، وانسكب الروح القدس يوم الخمسين.

يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات في كيفية انسكاب الروح هكذا:

[تسليم الألسنة النارية يوم الخمسين كان استعلاناً كاملاً للروح

---

(٢) *Dachs.* pp. 371,372.

القدس، إذ هنا نجده ليس حاضراً بقوته فقط، وإنما نقول إنه أتى وحضر جوهرياً، متحداً معنا، ساكناً فينا.

إذ يلزم أنه كما كان الابن يحيا معنا في حالة جسدية، هكذا يتعيَّن أن الروح القدس يُستعلَن ظاهراً في أجسادنا أيضاً.

وكما ذهب المسيح عائداً إلى مكانه الخاص، يلزم أن يأتي الروح القدس إلينا حتى لا نُحرم من "المعزِّي" = "الباراكليت".

و"الباراكليت" هنا اسم لربوبية واحدة متساوية مع المسيح في الجوهر الواحد.][٣]

انسكاب الروح القدس كان على الكنيسة أولاً، ثم على الجميع.

الكنيسة شربت أولاً، فخرج من بطنها أنهار ماء أروت ولا تزال تروي كل العطاش إلى البر.

الروح القدس بشبه الماء يروي: «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو ١٢:١٣)؛ ولكن لا يرتوي من الروح إلاَّ العطاش: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ.» (يو ٧:٣٧)

وفي ذلك يقول القديس أغسطينوس:

[نحن لا نذهب بأرجلنا وإنما باشتياقات قلوبنا، نحن لا ننتقل من مكاننا بل ننجذب بحبنا. إن الحركة هنا باطنية لا تتعلَّق بالجسد وإنما بالإنسان الداخلي، هي حركة قلبية تنزع إلى الهجرة بالنفس إلى وطن أفضل، هي نقلة تدفعها المحبة.

---

(٣) St. Greg. Naz., *On Pentecost*, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 383.

**«إن عطش أحد فليُقبل إليَّ»:**

نحن مدعوون بهذا النداء، ليس لنا أن نتعوَّق ونتساءل عن المعاني، فكلام الرب واضحٌ. فالعطش عطش داخلي، كذلك الفيض هو من القلب الخفي، والحركة هي من جهة إنساننا في الداخل.

البطن هي الوعي القلبي، فإذا شرب الإنسانُ الروحَ تطهَّرت أعماقه ولمستها الحياة الأبدية وتفجَّرت من أعماقه المياه الحية بشبه أنهار.](٤)

والقديس يوحنا ذهبي الفم يكمل المعنى بقولٍ حسن:

[**«إن عطش أحد فليُقبل إليَّ»:**

المسيح يقول: أنا لا أضطر الناس أن يأتوا إليَّ، ولا أنا أجذبهم بغير إرادتهم، ولكن إن كان أحد يضطرم فيه الشوق إليَّ وتلهبه غيرة المحبة نحوي، هذا أنا أدعوه.

**«تخرج من بطنه أنهار ماء حي»:**

يشير بذلك إلى عِظَم النعمة ووفرتها "كينبوع حي"، أي أن الذي يؤمن بالمسيح تسكنه النعمة بغزارة. والرب يُسمِّي النعمة "ماءً حياً"، لأن النعمة إذا دخلت العقل وتأسَّست في القلب فإنها تظل تعمل وتتفجَّر كتفجُّر المياه الشديدة من الينبوع بدون توقُّف، أو كجريان أنهار كثيرة بلا عدد.

ونحن إذا انتبهنا إلى الحكمة المتدفقة من القديس اسطفانوس

---

(٤) St. August., *On the Gospel of John,* NPNF, 1st Ser., Vol. VII.

ورجاحة منطق بطرس الرسول وغيرة بولس المتأجِّجة، ندرك تماماً صِدق تعبير الرب كيف أن النعمة تسير في طريقها لا يعيقها عائق، فلا غضب الجماهير ولا تهديدات المضطهدين ولا مؤامرة الشياطين تعطِّلها ولا حتى ميتات كثيرة على طول المدى... لأن النعمة تتدفق من القلب غير عابئة بالعوائق كنهر جارف محمول على تيار شديد يجرف أمامه كل ما يعترض تياره...][٥]

ولكي ندرك قيمة الروح القدس بالنسبة لحياتنا في العالم يلزمنا أن نعود إلى حالة شعب الله في البرية وبأي رمز عُرِف عمل الروح القدس في حياتهم:

+ «ولم يكن ماءٌ ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تُجرِّبون الرب؟

وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمَّر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتُميتنا؟» (خر ١٧: ١-٣)

هذا هو رمز حياتنا: برية قاحلة نسير فيها، عالم مجدب وليس فيه قطرة واحدة من النعمة أو عزاء الروح، موت أكيد إنْ لم يسقينا الله بنفسه. الروح القدس هو لحياة النفس كالماء لحياة الجسد، إذا لم نشرب الروح القدس كالماء تذبل حياتنا بالنسبة لله ونموت روحياً.

---

(٥) St. John Chrysos., *On the Gospel of John*, NPNF, 1st Ser., Vol. XIV.

أيها القارئ، ليس المهم أن نخرج من عبودية فرعون (الخطية) فقط! أو نكتفي بأن نعبر البحر الأحمر (المعمودية) الفاصل بين مذلة العبودية وحياتنا الجديدة؛ بل المهم، كل المهم، أن نحصل على الماء (الروح) لنشرب ونرتوي لئلا نموت.

اذكر حالة الشعب التائه في برية سيناء وكيف استبدَّ به العطش حتى صرخ، واذكر أن هذه الأمور حدثت كلها لتكون مثالاً لنا.

**أين الماء؟**

+ «الروح **والعروس** يقولان: تعالَ.
ومَن يسمع فليَقُل: تعالَ.
ومَن يعطش فليأتِ.
ومَن يُرِدْ فليأخذ ماءَ حياةٍ مجاناً.» (رؤ ٢٢:١٧)

العروس هي الكنيسة، والكنيسة تنادي بالروح القدس، "وبغير الكنيسة يستحيل أن تسمع صوت الروح القدس."(٦)

الكنيسة مبنية على الصخرة، الصخرة التي أسقت شعب الله في البرية، لأن الصخرة قديماً وحديثاً هي المسيح كما استُعلِنت لبولس الرسول.

وهكذا من تحت عتبة الكنيسة، عند مدخل بيت الله يوجد سر **المياه الحية:**

+ «ثم أرجعني إلى مدخل البيت (الهيكل)، وإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت... والمياه نازلة من تحت جانب البيت الأيمن

---

(٦) St. August., *Tract.* XXXII.

عن جنوب المذبح.» (حز ٤٧: ١)

الروح والعروس يقولان لك: تعالَ!
تعالَ، كما أنت؛ إن كنتَ عطشاناً اشرب، وإن كنتَ متَّسخاً اغتسل.
الكنيسة تُعرِّفك سرَّ الشرب، تسقيك الروح مجاناً، تغسلك فتبيضّ أكثر من الثلج.
الماء ليس للشرب فقط، هو للاغتسال أيضاً وللتطهير.
الصخرة كانت تُخرج ماءً للعطشان ليشرب، والمتَّسخ ليغتسل، والصخرة كانت المسيح! والماء كان الروح.

+ «وأرشُّ عليكم ماءً طاهراً فتُطهَّرون. مِن كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أُطهِّركم. وأُعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلبَ الحجر من لحمكم، وأُعطيكم قلبَ لحم. وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها.» (حز ٣٦: ٢٥ـ٢٧)

في سرِّ الروح أنت تغتسل وتتطهَّر، في لحظة، في لمحة بصر.
تعالَ بنجاساتك وخطاياك عليك.
تعالَ بقلبك واشتياقات روحك، كما علَّمنا القديس أغسطينوس.
تعالَ، وفي الخفاء اخلع أعمال الظلمة، اخلع جسم خطايا البشرية!
اخلعه بالمشيئة، وحينئذ يرفعه عنك الروح بالحقيقة.

# ثانياً: الحلول والامتلاء

موضوع حلول الروح القدس على المؤمنين والامتلاء منه موضوع خطير للغاية، أهملته الكنيسة في وعظها وخدمتها مع أنه حقيقة قائمة في صميم كيانها، فالكنيسة قائمة بالروح وتحيا من ملئه.

فإن كانت الكنيسة هي جسد المسيح السرِّي، فالروح القدس هو ملء هذا الجسد وحياته، والكنيسة نفوس المؤمنين.

وللقديس إيرينيئوس قولٌ مشهور في هذا الاعتبار:

[أينما وُجِدَت الكنيسة، وُجِدَ الروح القدس. وأينما وُجد الروح القدس، وُجدت الكنيسة.](٧)

وفي نفس المعنى يتكلَّم القديس باسيليوس:

[أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس أمامه.](٨)

وأيضاً يتكلَّم القديس غريغوريوس النيسي مدعِّماً هذا القول:

[الإنسان يستحيل عليه أن يفهم المسيح كابن الله بدون الروح القدس.](٩)

ولكن لشدة الأسف أصبح المؤمنون بسبب إهمال المعرفة بأصول

---

(٧) St. Iren., *Contra Haeres.*, III,24, PG VII, p. 966.

(٨) St. Basil., *On the Holy Spirit,* NPNF, 1st Ser., Vol. VII.

(٩) St. Greg. Nyss., *Contra Maced.,* 12, PG XLIV, 1316.

الحلول والامتلاء من الروح القدس يطلبونه كأنه ليس فيهم، وآخرون لا يطلبونه ظانّين أنهم ليسوا أهلاً لحلوله وملئه؛ وكِلاَ الوضعين خطأ، وعلى هذا الخطأ تحيا الغالبية العظمى.

وموضوع هذه الرسالة هو في الواقع محاولة عملية نَجهد فيها لجعل القارئ يتلامس مع حقيقة الحلول والامتلاء، لعلنا نبلغ ما فاتنا ونعوِّض عن سنين كثيرة أكلها الجراد.

ونحن نبدأ بيوم الخمسين، فالصلة الكائنة بين يوم الخمسين وحلول الروح ـ في أي زمان ومكان وعلى أي إنسان ـ صلة دائمة ومستمرة لا علاقة للزمان بها. فيوم الخمسين هو يوم البشرية كلها، هو كيوم الصليب أو كيوم القيامة تماماً، لا يحتاج إلى تكرار. نحن لا نطلب أن يُصلَب الرب غير اليوم الذي صُلِب فيه، ولا نطلب أن يقوم المسيح من بين الأموات مرة أخرى، لأنه صُلب مرة ومات مرة وقام مرة، وهو حيٌّ إلى أبد الآبدين.

كذلك نحن لا نطلب أن يتكرر يوم الخمسين، بل نطلب ونسعى أن تحلَّ علينا قوته، وقوته ليست غريبة عنا كما أن قوة القيامة ليست غريبة عنا.

فكما أخذنا بالمعمودية وبالمسحة وبقية الأسرار قوةَ موت الرب وقيامته، كذلك تماماً أخذنا قوة يوم الخمسين وهي فينا باتحادنا بالروح القدس كالصليب وكالقيامة. ولا نحتاج إلاَّ أن تصبح هذه القوة عاملة فينا، لأنها متعطِّلة بسبب الجهل بها.

واستيعابنا لقوة يوم الخمسين هو المُعبَّر عنه بالملء من الروح القدس، وهو غاية الحياة المسيحية ورسالة الكنيسة وقصد الإنجيل. وهو يتم على ثلاث درجات أو ثلاث مراحل من الحلول:

**الأول:** حلول الروح القدس بكلمة الإنجيل.

**الثاني:** حلول الروح القدس بالأسرار.

**الثالث:** حلول الروح القدس بالصلاة.

❖ ❖ ❖

# ١ ـ الحلول بالكلمة

+ «**فلما ابتدأتُ أتكلَّم، حلَّ الروح القدس.**» (أع ١١:١٥)

**علاقة الحلول بالكلمة عند الرسل:**

كلمة الإنجيل عند الرسل لم تكن مقروءة من كتاب ولا منقولة، وإنما كانت منطوقة من الروح القدس مباشرة، فكانت هي بنفسها حالة حلول بالروح القدس في الإنسان (الرسل). أي أن الكلمة الإنجيلية هي في جوهرها حالة حلول مجسَّمة في نُطقٍ تسجَّل ككلمة.

الإنجيل كله كُتب على نور مصباح الله، وخَطَّته أيدي كانت تسوقها النعمة، فكانت الأيدي تكتب بلا حذر أو احتياط، وكانت الكلمات شهادة لمصدرها.

كلمة الرسل هي عينها شاهدة لحقيقة حلول الروح القدس فيهم، والذي يهمنا جداً في هذا هو أن الكلمة أصبحت مرتبطة بهذا الحلول ارتباطاً صميمياً، بحيث إن كل مَن يتعمَّق الكلمة يكتشف فيها الروح القدس، أو بالحري يدخل ضمناً في حالة حلول!

فكل مَن يتذوَّق الكلمة يتذوَّق الروح. وكلما تعمَّق القارئ في الإنجيل، تعمَّق في الروح الكاتب للإنجيل!

وبذلك صار الإنجيل واسطة حلول للروح القدس لأنه بالحلول مكتوبٌ!

ويستحيل أن يتم حلول الروح القدس في أي عمل أو خدمة أو سر من أسرار الكنيسة إلاَّ إذا قُرئت كلمة الإنجيل!

والكنيسة تستمد من الإنجيل كيانها، وكيان الكنيسة حياة، وحياة الكنيسة نفوس تحيا لله لأنها تعيش على الكلمة، والكلمة استمرار لحالة حلول بالروح القدس دائم ومستمر.

الكنيسة تُدعَى رسولية، لا من أجل أسماء الرسل، ولا من أجل فضائلهم؛ بل لأنها لا تزال قائمة على الكلمة التي نطقوها كما هي، وكلمتهم حيَّة لأنها مكتوبة بالروح القدس.

فالإنجيل المكتوب من الرسل هو حالة إلهام تسجَّلت تسجيلاً أكثر من أن يكون حرفياً أو كلامياً. فالإلهام إحساسٌ بالحق، والإحساس بالحق لا ترسمه مجرد الحروف والكلمات. لذلك فقراءة الإنجيل إنْ لم توصِّل إلى حالة إحساس بالحق وإحساس بالروح، لا تكون هي كلمة الإنجيل، ولا تكون قد بلغت الغاية من كتابة الإنجيل! لأن الكنيسة لا تقول إنها كانت رسولية، بل هي الآن رسولية، وهي لا تكون رسولية إن لم تكن تعيش الآن وتحس بالحق الرسولي.

إذن، فكلمة الإنجيل هي الصلة الحية بين حاضر الكنيسة وأصولها الأولى حتى إلى المسيح شخصياً.

فإذا استطعنا أن نستوعب كلمة الإنجيل بقبول وانفتاح ذهني نصير في الروح أو ندخل في حالة حلول تجعلنا نتواجه أمام الفكر الرسولي؛ بل نقول في جرأة إننا نبلغ إلى فكر المسيح نفسه: «أما نحن فلنا فكر

المسيح.» (١كو ٢:١٦)

**علاقة الحلول بالكلمة عند الآباء:**

عندما نقول: "الآباء"، فنحن نقصد الفكر الآبائي المؤيَّد بالروح القدس وبالسيرة المقدسة.

فالكنيسة ليست استمراراً لتاريخ وأسماء، ولا لتقليد حرفي ميت، ولا لطقوس وأعياد ومواسم، ولا هي أيضاً استمرار صوري للتعاليم الرسولية وحسب.

ولكن الكنيسة بصورة ممتازة هي استمرار لحلول الله معنا، هي حضرة إلهية مشهود لها بالكلمة، هي برهان الروح والقوة يسري في كيان أشخاص ملهمين من جيل إلى جيل يقودون الكنيسة بالروح، وبرهان الروح فيهم هو الكلمة حينما يفسرونها إلهياً.

فإن كان برهان الروح القدس عند الرسل هو في نطق كلمة الإنجيل، فبرهان الروح القدس عند الآباء هو تفسيرها على مستوى إلهي.

وتفسير الكلمة حالة حلول لا تقل عن النطق بها!!

واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لا يقل عن وضع الإنجيل نفسه، لأن في كليهما يبلغ العقل إلى مواجهة الحق.

وإن كانت الكنيسة ظلت إلى الآن رسولية، فذلك بسبب الآباء. فالآباء في الكنيسة يُعبِّرون عن عقل الرسل، كما عبَّر الرسل عن عقل المسيح!!

وهكذا احتفظ لنا الآباء بتفسيرهم الكلمة واستخلاصهم العقيدة المستقيمة، لا بفكر الرسل فحسب، بل بفكر المسيح وحق الله.

ولولا آباء الكنيسة الملهمون ما استقرت أُسس الإيمان والعقيدة بالصورة التي نحياها اليوم.

فإن كنا نتذوَّق قوة الكلمة وعمق الإيمان ورصانة العقيدة وأسرار التدبير، فلنذكر أثناسيوس وكيرلس الإسكندري وغريغوريوس وباسيليوس إلى الأبد.

ونحن، أيها القارئ، لا نريد أن نخوض في الدفاع عن العقيدة ولا عن الآباء، ولكن نريد فقط أن ننبِّه الذهن إلى قيمة الفكر الآبائي في تفهُّم الكلمة الرسولية وكشف أسرار اللاهوت. فالعقيدة الآبائية السليمة هي مفتاح كلمة الإنجيل وهي في ذاتها حالة حلول للروح القدس.

فإن كنا نعرض الآن لحالة الحلول الذي يتوقه كل إنسان بواسطة كلمة الإنجيل، يلزم أن نشهد بضرورة التعرُّف على الفكر الآبائي والعقيدة الحقة، لأنه كما قلنا إن هذه بنفسها تُعتبر حالة حلول للروح القدس يُلازم الكلمة، ونحن لا نستطيع أن نفصل كلمة الإنجيل عن العقيدة وفكر الآباء، لأن كلمة الإنجيل قد وصلتنا حية ومحفوظة في إطار من الفكر والعقيدة الآبائية.

بل نريد أن نقول أيضاً إن الكلمة قد وصلتنا حية فعَّالة تدعمها نماذج حية من الآباء الذين قدَّموا حياتهم ثمناً للمحافظة على مفهومها السليم.

## علاقة الحلول بالكلمة عند المؤمنين:

الآن، قد فتحنا أمام القارئ درب الإنجيل الذي يوصِّله إلى يوم الخمسين، وإلى يوم القيامة والصليب، ليأخذ من الكلمة وبالكلمة حالة وجود في الرب وفي الروح.

الكلمة هي في واقعها الإنجيلي نُطق الروح القدس الكاشف لأسرار المسيح والحق والله: «ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم.» (يو ١٦: ١٤)

ولكن الكلمة لا تزال أكثر من نُطق، هي صوت الروح القدس، هي صوت المسيح، هي صوت الله الآب.

وإلى هنا، أيها القارئ، نتوسل إلى الله أن يكمل عجز تعبيرنا لنُدرك العلاقة الكائنة بين أُذنك والكلمة، بين قلبك وسماع ذلك النطق، بين نفسك والروح القدس في الإنجيل.

ولكن نقول لك الحق ولا نكذب، إن كل قراءة تكمِّلها تكميلاً روحياً بانفتاح قلب ووعي هي حالة حلول بالروح القدس أمام المسيح.

القديس إيرينيئوس يشهد لكلمة الإنجيل هكذا:

[اللغة لغة إنسان مُلهم، ولكن الذي يُصيغها ويُصوِّرها هو الله الكلمة.](١٠)

والفيلسوف أثيناغوراس يشهد أيضاً هكذا:

---

(١٠) St. Iren., *Apol.* I,36 & 11,10.

[الروح القدس ينفخ في الإنجيليين كما ينفخ الموسيقي في مزماره. هو يرفع عن الكاتب قدراته الطبيعية الخاصة، ويُدخِلهم في حالة جذب إلهي فينطلقون ويكتبون ما يطبعه روح الله فيهم.][١١]

لذلك نعود مرة أخرى مستخدمين إلهام أثيناغوراس لنقول إن الكلمة ليست نُطق أو صوت الله فحسب، بل نفخة فمه!

فالذي يقرأ الكلمة أو الذي يسمعها يكون كمَن يتقبَّل نفخة الله، وما هي نفخة الله إلاَّ تقبُّل روح الله!!

لذلك يُحرِّضنا القديس يوحنا الرسول في افتتاحية سفر الرؤيا هكذا: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون.» (رؤ ١:٣)

أما علامة تقبُّلنا لنفخة الكلمة ودخولنا في حالة حلول الروح فهو انفتاح الذهن لتقبُّل معرفة الحق واستعلان أسرار الله.

وانفتاح ذهن الإنسان لكلمة الإنجيل هو أول حلول للروح القدس لتكميل ملء قامة الإنسان في المسيح يسوع.

وكانت الكنيسة في عصورها الأولى تمتنع عن تعميد أي موعوظ جديد إلاَّ إذا قَبِلَ أولاً استنارة المعرفة بكلمة الإنجيل!

اسمع هذا القول للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:

[الروح القدس يكمل ويلقن النفس أولاً حتى يُهيِّئها

---

(١١) *Legatio 9.*

للمعمودية.][١٢]

وعندما تتبَّعنا فكر القديس غريغوريوس فيما يختص بالموعوظين، عرفنا من عظاته عن الروح القدس أن الدروس التي ألقاها على الموعوظين قبل معموديتهم شملت أسرار التثليث والتوحيد بالتدقيق، وسر التدبير الإلهي أي التجسُّد بكل أصوله، ثم عظة كاملة وبليغة عن المعمودية ذاتها ومعانيها الروحية العميقة، وفي ختام دروسه للموعوظين قال لهم الآتي:

[وهذا كل ما يليق أن يُعلَن لكم فيما يختص بتقبُّل سر العماد وقد أخبرتكم بما هو ليس ممنوعاً من أن يسمعه العامة. أما باقي التعليم فستتولى الكنيسة تلقينه لكم في حينه بنعمة الثالوث الأقدس، وهو التعليم الذي يلزم أن تحتفظوا به سرًّا وتُودِعونه قلوبكم.][١٣]

كم نحن خجلون الآن لأننا ونحن معتمدون، بل وربما معلِّمون وواعظون، لم نبلغ إلى انفتاح الذهن أو تقبُّل الاستنارة الروحية بالكلمة ولم نتذوَّق الروح الذي في الإنجيل.

أنْ ينفتح العقل للكلمة، تنفتح العين للرؤيا. والرؤيا الروحية هي **معرفة** غير المنظور في صورة يقينية. فَهْم الإنجيل هو استيعابٌ للروح القدس. حلول الروح القدس بالكلمة هو مصالحة لقوَى التفكير بقوَى التعبير في ذهن الإنسان لينطق الحق ويشهد للمسيح.

---

(١٢) St. Greg. Naz., *Fourth Oration,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 817.

(١٣) St. Greg. Naz., *Oration on Holy Baptism,* Ibid., p. 377.

أيها القارئ، إن كنتَ تريد أن تبدأ الطريق، ابدأ بالإنجيل. تأدَّب بكلمة الحياة، اجلس إليها ساهراً كل يوم، اخضع لِوَحْيِها واتجاهاتها، استمع لصوتها، تنسَّم نفختها، تنفَّس بها كما تتنفَّس الهواء أو الريح الزكي؛ لأن الكلمة روح، والروح القدس هو ريح الله يستنشقه القديسون ويتنفسون به.

❖ ❖ ❖

# ٢ ـ الحلول بالأسرار

+ «ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ **الروح القدس عليهم**.» (أع ١٩:٦)

إن كان حلول الروح القدس بالكلمة يُنشئ استنارة ذهنية ووعياً للحق ثم نطقاً وشهادة للمسيح، فحلول الروح القدس بالأسرار يُنشئ اتحاداً في طبيعة الله. والاتحاد في طبيعة الله لا يكمل إلاَّ في الدهر الآتي بسرِّ القيامة العتيد أن يُستعلَن فينا.

أما في الحاضر فنحن نشترك جزئياً في طبيعة الله، وقليلاً قليلاً على قدر ما يتغيَّر الفاسد فينا إلى قداسة.

بالأسرار يتم الاشتراك في طبيعة الله سرًّا بنعمة الروح القدس كحالات حلول. ولكن يلزم أن تكون الإرادة واعية لمفهوم السر، وتكون المشيئة حاضرة باشتياق للخلاص، وإلاَّ لا يحدث حلول من النعمة إطلاقاً.

وللقديس غريغوريوس النيسي قول قاطع في هذا الأمر:

[إن نعمة الله لا يمكن أن تنسكب على النفوس التي تتهرب من خلاصها.][١٤]

ولكن ليست النعمة أيضاً تنسكب في الأسرار عن استحقاق ولا

---

(١٤) *De Instituto Christiano*, PG XLVI, 289.

عن إرادة للإنسان فقط، وإنما يلزم أن تتلاقى معاً إرادة الإنسان مع إرادة الله، واشتياق الإنسان للخلاص مع إرادة الروح للملء.

وهنا تبرز أهمية الاستنارة بالكلمة، لأن تفتُّح الوعي الروحي بقراءة كلمة الإنجيل يؤهِّل الإنسان لتقبُّل السر، إذ يُهيىء مشيئته للخلاص عن اشتياق من جهة، ومن جهة أخرى يُهيئ هيكله الروحي لحلول الروح القدس في الأسرار للشركة وعطاء الطبيعة الإلهية بالتقديس.

إذن، فحلول الروح القدس في ذهن الإنسان بكلمة الإنجيل هو أساس لحلول الروح القدس في هيكل الإنسان بالأسرار للتقديس!!

الأسرار كلها حالات نتقابل فيها مع طبيعة الله تقابُلاً غير منظور بالإيمان، يكون نتيجته أن نصبح في حالة اتحاد أكثر ـ بعمل النعمة ـ وكل سر يؤهِّلنا إلى حالة شركة خاصة، والروح القدس هو الفاعل في كل الأسرار.

فالأسرار هي ممارسة الحياة الإلهية الجديدة لحساب الدهر الآتي. وحلول الروح القدس فيها على قياس العمل للتغيير والتجديد، وإنما بطريقة لا نستطيع أن نعيها عقلياً، وإن كان الأثر يكاد يكون ملموساً.

والقديس باسيليوس يلمس هذه الحقيقة هكذا:

[الروح القدس أعطانا قوة التجديد، أما كيف ذلك فهذا أمر يفوق حاسة المنطق العقلي، مع أنه فينا بالسر؛ أما ثمر التجديد فواضح إذ يهبنا خلاصاً لأنفسنا عظيم القدر، فإذا حاولنا أن

نقلّل هذه الحقيقة نخسر الحياة الأبدية خسراناً شديداً.][١٥]

الله حاضر في جميع الأسرار، وحضوره يتم فينا كعمل إلهي في بشريتنا لينقلها بالتجديد المستمر لتصير خليقة جديدة في المسيح من جسد المسيح. والقديس باسيليوس يشرح هذا المعنى أيضاً:

[إن التجديد الذي نجوزه في هذه الحياة وانتقالنا وتغيُّرنا من حياة أرضية حسب الجسد إلى حياة سمائية روحية إنما يحدث فينا بفعل الروح القدس.][١٦]

وهكذا تصير هياكلنا روحية مهيَّأة ومقدسة لحلول أكثر وامتلاء من الروح، حتى أن الرب يقول إنه يأتي «وأتعشَّى معه» (رؤ ٣:٢٠)، وفي موضع آخر يقول: «إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣)، لأن الهيكل البشري إذا تقدَّس بفعل الأسرار بعمل نعمة الروح القدس فإنه يصير موضعاً لله يستريح فيه. ويقول القديس غريغوريوس بهذا الصدد:

[الله يستريح بين قواته المقدسة، وهو مُحبَّب إليه أن يسكن بينهم. وهكذا يُقال عن الله إنه جالسٌ أو مستريح في عرشه. وهذا نفسه أيضاً حادث فينا، فالله يجلس مستريحاً في قديسيه.][١٧]

فنحن بالأسرار نصير منزلاً مهيَّأً لسُكنى الله. والروح القدس لا يكف عن أن يعطينا في كل سر تقديساً ونمواً غير منظور.

---

(١٥) St. Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 18.

(١٦) Ibid., p. 31.

(١٧) St. Greg. Naz., *On Pentecost,* Fourth Oration, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 325.

الرب أراد أن لا يتركنا يتامى، فأرسل لنا الباراكليت ليعزينا بسكناه وبقوته، فإذا لم نحقّق العيشة المشتركة مع الروح القدس نكون قد خسرنا قوة الأسرار، وبالأخص فعل المعمودية والمسحة التي هي أساس تعلُّمنا ونمونا في الرب: «المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحد، بل كما تُعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌّ وليست كذباً. كما علَّمتكم تثبتون فيه.» (١يو ٢:٢٧)

إذا لم نستثمر عمل الروح القدس فينا الذي نلناه بالأسرار لحساب الحياة الأبدية نفقد صلتنا بالله كلية. اسمع ما يقوله القديس أثناسيوس بصدد هذا:

[نحن بدون الروح القدس نصير غرباء ومنفصلين عن الله، أما شركتنا في الروح القدس فهي تؤهِّلنا أن نصبح ذوي قُربَى باللاهوت.](١٨)

## حلول الروح القدس في سرِّ المعمودية:

القديس باسيليوس يصف معموديته قائلاً:

[المعمودية كانت لي أول حياتي...
ويوم تجديدي كان أول أيامي...
ونِدائي بنعمة التبنِّي كان أقدس نداءاتي...
إن كلمات المضلين لن تخدعني، ولن تتقلقل نفسي عن تقليد آبائي.
**الذي قادني إلى النور** والذي وهبني **معرفة الله**.

(١٨) St. Athanas., *Discourse* III, NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 407.

هذا التقليد الذي تقبَّلته بالنعمة المحيية سوف يبقى إلى الأبد بغير انكسار...
وأنا أضرع في نفسي لإلهي أن أَعبُر إليه وأنا باعتراف إيماني، حافظاً وديعته فيَّ حتى إلى يوم المسيح،
مؤمناً بالروح القدس الذي فيَّ غير مفترق عن الآب وابنه...
حافظاً باعتراف إيماني مجد الثالوث، العقيدة التي تعلَّمتها يوم اعتمادي!!][١٩]

كل الأسرار يتوقف فعلها على أساس ميلادنا الجديد واستعلان قوة معموديتنا في حياتنا العملية، لأن الهيكل الإلهي فينا إذا لم يكن مستعداً، كيف يحلُّ فيه روح الله؟

ولكن ما هو الاستعداد الذي ينبغي أن نقوم به الآن لنحقِّق حالة معموديتنا عملياً؟ هل هو مجرد امتناعنا عن الخطايا؟

يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات، إن المعمودية حالة استنارة:

[إذا بلغنا معرفة هذا السر (المعمودية) بلغنا الاستنارة.][٢٠]

و"الاستنارة" في لغة القديس غريغوريوس هي صفة مُلازمة للمعمودية، بل إنه في أغلب كتاباته يستخدم كلمة "الاستنارة" ليُكنى بها عن المعمودية مباشرة.

---

(١٩) St. Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII. p. 17,18.

(٢٠) St. Greg. Naz., *Oration XL,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 360.

إذن، فمن قول القديس غريغوريوس ندرك أننا مُطالبون بتحقيق معموديتنا عن طريق تدريب حواسنا الروحية ذهنياً أيضاً لتفهُّم أسرار الله «الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر.» (عب ٥:١٤)

إذن، فالمعمودية حالة حلول للاستنارة بالنعمة لمعرفة أسرار الله.

فإن كان حلول الروح القدس بقراءة الكلمة يُنشئ وعياً واستنارة ذهنية لفهم ومعرفة الإيمان وشخص المسيح، فحلول الروح القدس بالمعمودية يلد الإنسان الجديد فينا باستنارة إلهية لكشف واستعلان أسرار الله والحياة الأبدية.

نحن كلنا مولودون جديداً بالمعمودية، ولكن إنساننا الروحي عاجز عن الكشف والاستعلان بسبب عدم تمرُّن الحواس الروحية فينا.

تقبُّل السر، أيًّا كان نوعه، هو بمثابة دعوة إلهية إلى عشاء الله، ونحن علمنا من حديث الرب أن المقابلة مع الله تحتاج إلى ارتداء ثوب خاص: «فلما دخل الملك لينظر المُتَّكئين، رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً **لِباس العُرس**. فقال له: يا صاحب، كيف دخلتَ إلى هنا وليس عليك لِباس العُرس؟» (مت ٢٢:١١و١٢)

الثوب، يا إخوة، هو التوشُّح بالروح القدس، الذي هو قوة المعمودية وبهاء صورة الله منعكسة من أعماقنا.

ولكن لا يغرب عن بالنا أننا لبسنا الروح في المعمودية، وعلينا إظهار هذا الثوب الإلهي الذي هو القداسة والاستنارة معاً.

الجلوس إلى الله في الأسرار هو حالة عشاء ويحتاج باستمرار إلى هذا الثوب عينه نقياً طاهراً لامعاً.

الله يُطعم النفوس المتسربلة بالروح القدس حينما تجلس معه في الأسرار. وطعام الله هو الجسد، هو دمه، هو الحق!

حالة الحلول في الأسرار هي في الواقع حالة إطعام لاهوتي، هي تغذية إلهية، فيها نقتات سرًّا على اللاهوت: «أَفغِر فاك فأملأه.» (مز ٨١:١٠)

ولكن ثوب الروح القدس الذي نلناه في المعمودية هو أساس الأسرار، وهو الذي يغسلنا كثيراً فنبيضّ ونستنير ونلمع بنور وجه الله:

[الروح يُضيء على الذين اغتسلوا من عيوبهم ويجعلهم روحيين برفقته لهم...

فكما يجعل النور الأجسام اللامعة تُضيء بالنور فينبعث منها الضياء وكأنه خارج من كيانها، كذلك الروح القدس إذا سكن النفوس الطاهرة المغتسلة يجعلها منيرة حتى أنها تصير هي نفسها روحانية وتنبعث منها النعمة إلى الآخرين.][٢١]

**القديس باسيليوس**

## حلول الروح القدس في سرِّ المسحة:

هو حالة حلول حقيقي للروح القدس لمسح الإنسان، فهذا السر بالذات يستمد قوته من سر مسحة الرب بالروح القدس عندما خرج

---

(٢١) St. Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 15.

من مياه الأردن. والقديس كيرلس الأورشليمي يوضّح ذلك قائلاً:

[فكما لمع الروح القدس واستقر على الرب، هكذا بعد أن تخرجوا من جرن المياه المقدسة تُعطَى لكم المسحة كاشتراك في المسحة التي مُسِحَ بها الرب، وما هي المسحة إلاّ الروح القدس.](٢٢)

كذلك فإن القديس كيرلس الأورشليمي يعتبر هذه المسحة باستدعاء الروح القدس حالة قبول نعمة من المسيح، وبحلول الروح القدس يحصل الممسوح على الطبيعة الإلهية(٢٣).

وترتليانوس يربط بين المسح بزيت الميرون وبين وضع اليد الرسولية هكذا:

[وفي حال خروجنا من جرن المعمودية نُمسح جيداً بزيت المسحة المقدس، وتوضع علينا اليد باستدعاء حلول الروح القدس.](٢٤)

ولكن باستمرار الزمن صارت المسحة تُعتبر نفسها وضعَ اليد، وهي هي نفسها تُعتبر في ذاتها حالة حلول للروح القدس، وهذا واضح جداً في قول للقديس كيرلس الأورشليمي:

[المعمودية هي لموت الرب، الماء للدفن، الزيت لحلول الروح القدس.](٢٥)

كذلك فإن المسحة بزيت الميرون تُعتبر ختماً، لأن الممسوح يُختم

---

(٢٢) St. Cyril of Jerusalem, *Introd.*, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. XXIV.

(٢٣) Ibid., p. XXV.

(٢٤) Tertul., *De Bapt.*, ANF, Vol. III, p. 672.

(٢٥) St. Cyril of Jerusalem, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, Introd., p. XXV.

بالزيت على جبهته، ويسميه القديس كيرلس الأورشليمي: "الختم الملكي"، ويسميه أيضاً:

[ختم الشركة والتبعية للروح القدس.][٢٦]

* * *

وهكذا نرى من هذه الأقوال الآبائية أن سرَّ المسحة المقدس هو حالة حلول للروح القدس، وهو بمثابة وضع يد الرسل لقبول وشركة الروح القدس مع كل مواهبه.

إذن، نحن رسوليون بمسحة الميرون، وعلينا أن نحقّق هذه المسحة في حياتنا.

فإن كان الروح القدس يشهد لنا بواسطة سر المسحة أننا أولاد الله وورثة للمسيح والرسل بوضع اليد؛ إلاَّ أنه لا يشهد لنا الآن ولا يستطيع أن يشهد لنا طالما كنا غير رسوليين في تفكيرنا وإيماننا، غير رسوليين في غيرتنا للمسيح ومحبتنا للإخوة، غير رسوليين في خدمتنا وبذلنا.

نحن فينا المسحة وعلينا الختم، ولكن شركتنا مع الروح القدس متعطّلة بسبب سيرتنا.

**حلول الروح القدس في سر التوبة:**

هو الغسل الثاني والمتكرر لحواسنا الروحية التي تميل إلى الخطية بعد

---

(٢٦) Ibid.

تطهير المعمودية الكلّي.

الروح القدس هو الذي يغسل في المعمودية وفي التوبة وعلى الدوام.

التوبة حالة استعداد داخلي لحلول الروح القدس لتجديد الحواس التي فسدت بالشهوة والإثم.

إن لم نخلع جسم الخطية عنا بالمشيئة، لا يرفعه عنا الروح بالحقيقة.
التوبة حالة قبول لفاعلية الروح القدس، والقبول يتم فينا بالمشيئة.

نحن لا نستطيع أن نطهِّر أو نغسل أنفسنا بالمشيئة فقط سواء كان بالصلاة أو الدموع أو الصوم. يلزم قبولنا حلول الروح القدس ليصنع هو فينا بنفسه حالة التطهير والتقديس والتجديد. نحن نُعِدُّ أنفسنا بالصلاة والدموع والصوم، وهذا فعل المشيئة، ثم نقبل حالة الحلول بوضع يد الكاهن، فيحلُّ الروح القدس ويكمل لنا ما نريده بالمشيئة.

إذا لم نشأ التوبة، إذا لم نُظهر فعل الندامة ونُقدِّم نية قلوبنا لله بالصلاة، لا يحلُّ الروح القدس ولاَ يُقدِّس ولا يُجدِّد.

يلزم أن تتقابل مشيئتنا مع مشيئة الروح القدس. ومشيئة الروح القدس حاضرة كل حين لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون!» (١تي ٢:٤)

حالة الخطية هي حالة خروج من حضرة الله، هي إحزان للروح القدس ــ كما يقول الكتاب ــ وإطفاء لإشراقه فينا.

التوبة تحتاج إلى دخول في حضرة الله، تحتاج إلى مصالحة مع الروح القدس. لابد من وسيط، لابد من دعاء آخر، وهذا الآخر يلزم أن

يكون قد أُعطِيَ سلطان استدعاء الروح القدس!!!

إذن، التوبة لا تكمل إلاَّ بصلاة الكاهن، إذ يستدعي الروح القدس ليحلَّ في هيكله الذي كان قد تغرَّب عنه إلى حين.

**ليس هذا معناه أن الكاهن يستطيع أن يتحكَّم في الغفران، فلا يُعطيه لمن يستحقَّه**، يستحيل، فالروح القدس ليس تحت وصاية الكاهن.

لقد قرأنا للقديس باسيليوس سابقاً أن الروح القدس مالِك سلطانه، وها نحن نقرأ للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات في هذا المعنى:

[إن نعمة الاغتسال مجانية كاستنشاق الهواء وانسكاب النور وتتابُع الفصول وجمال الخليقة، هذه كلها نشترك فيها جميعنا؛ وهكذا تتوزَّع نعمة الإيمان.][٢٧]

لما أرادت الكنيسة في بداية العصر الرسولي أن تمنع الأمم من قبول الروح القدس لم تستطع، وبطرس الرسول يشهد بهذه الحقيقة علناً فيقول:

+ «فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويَّة مؤمنين بالرب يسوع المسيح، **فمَن أنا؟ أقادرٌ أن أمنع الله؟** فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكان يُمجِّدون الله قائلين: **إذاً أعطى الله الأممَ أيضاً التوبة للحياة!**» (أع ١١:١٧و١٨)

إذن، فالكاهن لا يمنع الغفران عمَّن يستحقه، وإنما له أن يمنعه عمَّن لا يستحقه. كذلك فالكاهن لا يُعطي الغفران لمن لا يستحقه.

---

(٢٧) St. Greg. Naz., *Oration XL*, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII.

الإنسان الذي توشَّح بالروح القدس فيه القيامة، لأن روح مَن أقام يسوع يسكن فيه.

الخطية حالة موت، والتائب إنسان قائم من بين الأموات بالروح القدس.

مَن له الروح لا يغلبه الموت، لأنه يغلب الخطية بالتوبة.
التوبة حالة قيامة متكررة تستمد قوتها من الروح القدس وقيامة المسيح.

**حلول الروح القدس في سرِّ التناول:**

لا يستطيع الكاهن أن يقول إن الخبز تحوَّل إلى جسد أو أن الخمر تحوَّل إلى دم إلاَّ بعد أن يستدعي الروح القدس ليُحوِّل القرابين و"يُظهرها قدسات للقديسين"!!

كذلك لا يستطيع إنسان أن يقرب الذبيحة الإلهية إن لم يكن قد قَبِلَ من فم الكاهن حلول الروح القدس عليه: "ليحلَّ روحك القدوس **علينا** وعلى هذه القرابين."(٢٨)

حلول الروح القدس في سرِّ الإفخارستيا هو لكي يحوِّل القرابين، ويُقدِّس المتقدمين للاشتراك في الجسد والدم، حتى يجعلهم أهلاً للقُدْس: "القدسات للقديسين".

الروح القدس يُقدِّس هيكلنا قبل التناول ليُعدَّ الله منزلاً فينا فيحل اللاهوت ولا يحترق الإنسان.

---

(٢٨) "سر حلول الروح القدس" في القداس الإلهي.

## حلول الروح القدس في سر مسحة المرضي:

نقطة تقابل هامة بين الجسد والروح القدس، هي حالة حلول في الهيكل الجسدي، هو منتهى تواضع الروح، حيث يُشفى الجسد بمادة الزيت.

ولكن يستحيل للروح القدس أن يستريح في هيكل الجسد المريض إلاَّ إذا كان مستريحاً أولاً في هيكل الروح الداخلي.

لذلك كان حلول الروح القدس في سرِّ مسحة المرضى يلزم أن يسبقه أو يرافقه حلول الروح في النفس بسرِّ التوبة والاعتراف بالخطية لقبول شفاء الروح أولاً.

شفاء النفس هو أساس لشفاء الجسد، فالنفس المستريحة في الله تنبعث منها الصحة للجسد. والنفس تستريح فقط بحلول الروح القدس "المعزِّي"، حيث تنبعث النعمة من النفس إلى الجسد، كما يقول القديس باسيليوس، فتشفي سقمه!

النفس التي لا يحلُّ فيها الروح القدس بالتوبة للتجديد، هي نفس سقيمة ومريضة بالخطية، وسر مسحة المرضى يتعطل عمله فيها. فالجسد لا يقبل الروح القدس إلاَّ من عمق هيكل النفس! والشفاء لا يتم إلاَّ عن طريق الغفران!

صحة النفس تعوِّض كثيراً عن سقم الجسد.

ومسحة المرضى ربما لا تشفي الجسد طالما كانت النفس قوية متعزية بالروح!

والروح القدس قدير أن يعمل حتى بالجسد الضعيف إن كانت النفس صحيحة! «قوتي في الضعف تُكمَل.» (٢كو ١٢: ٩)

فالمرض الجسدي لا يعيق حلول الروح القدس والملء، ولكن مرض النفس بالخطية يعيق الروح ويستحيل معه الملء!

**حلول الروح القدس في سر الزيجة:**

حلول الروح القدس على جسدَيْن معاً بقوة إلهية موحِّدة! ليجعل من الاثنين واحداً بواسطة المسيح.

في سرِّ الزيجة يحل الروح القدس على مستوى ممتاز، فهو ليس للسكنى فقط؛ بل لتوحيد مسكن الله في الناس!!

ونتيجة هذا الحلول هو تكوين أول نواة لتجميع البشرية في واحد! لأنه كما يجمع الروح القدس الاثنين في واحد بسرِّ الزيجة، كذلك وبنفس القياس وعلى نفس المستوى السرِّي يجمع الناس جميعاً في الكنيسة! الاثنان يصيران واحداً، دون أن يفقد كل واحد ما له.

فبحلول الروح القدس في سرِّ الزيجة يحدث انفتاح النفس البشرية لتستوعب ما للنفس الأخرى بحيث لا تفقد هي ما لنفسها. وبذلك يصير ما للواحد هو ما للآخر تماماً، فلا يعودان اثنين بل واحداً!

الزوج يستوعب كل ما في زوجته، ليس الصالح الذي فيها فحسب أو عاداتها الطيبة وميولها الخيِّرة فقط؛ بل بمؤازرة روح الأُلفة يتقبَّل، في استسلام لفاعلية السر، كل ما في زوجته حتى الأخطاء والعيوب وكل نقص أيَّاً كان نوعه، يتقبل كل ما يحسُّه فيها ويجعله لنفسه فيصير جزءاً

من كيانه. فالزوج لا يتبرَّم من عيوب زوجته، بالضبط كما أنه لا يتبرَّم من عيوبه.

وإن أراد أن يُصلِح فيها عيباً، يسلك في ذلك كمَن يُصلِح عيب نفسه. فكل عيب في أحدهما هو محسوبٌ لكليهما!

هكذا، والزوجة أيضاً تستقبل بفاعلية سر الروح كل ما في زوجها من نقائص وفضائل، فلا يعود لزوجها شيء كأنه غريب عن بدنها ونفسها وعقلها. وحينما يقول الكتاب إن الرجل رأس المرأة، فهو يشير إلى أن الرجل يحتل تفكير المرأة: «وإلى رجلك يكون اشتياقك.» (تك ٣:١٦)

هو رباط روحي يشمل الوجدان والمشاعر أيضاً.

الرجل بعد حلول الروح القدس في سر الزيجة لا يُدعى **فرداً بل "زوجاً"**، ولا المرأة بعد حلول الروح القدس عليها في سر الزيجة تُدعى **فرداً** بل **"زوجاً"** أيضاً، فكل منهما صار "زوجاً" لأن كلاً منهما صار له ما للآخر بالإضافة إلى ما لنفسه!! وتلاشت الفردية بينهما.

لذلك فحلول الروح القدس في سر الزيجة متركِّز صميمياً في كلمة **"الزوجية"**.

والزوجية في المسيحية ليست ثنائية، هي وحدة بشرية على مستوى إلهي بشبه الكنيسة والمسيح! هي وحدة غير منفصمة قائمة على التساوي **المطلق** بين الرجل والمرأة في المسيح! «الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**.» (١كو ١١:١١)

**حلول الروح القدس في سر الكهنوت:**

الكهنوت ثلاث درجات: أسقفية، وقسوسية، وشماسية.

وفي الدرجات الثلاث يتم حلول الروح القدس بوضع يد الأسقفية على **المختار**؛ ولكن لا يتم الحلول إلاَّ باشتراك شعبه، والشعب يشترك بثلاثة أشياء:

**الأول:** بالمشيئة، وهذه تَكْمُل بـ "التزكية".

**الثاني:** بالنطق، وهذه تكمل قبل الصلاة عليه بصوت واحد من الجميع، إذ ينطق الشعب ويقول: "أكسيوس" أي "مستحق"، حينما يسأل الأسقف عن رأي الشعب.

**الثالث:** باشتراك الشعب في الصلاة على المختار.

حلول الروح القدس في سر الكهنوت لا يتم جزافاً. يلزم أن يكون المختار مملوءاً من الروح القدس؛ لأن الكهنوت خدمة بالروح القدس، والخدمة بالروح لا تكون إلاَّ من فيض، والفيض لا يأتي إلاَّ بعد الملء.

الملء بالروح القدس هو شرط الكهنوت وإلاَّ لا يقدَّم الشخص.

والملء يشهده الناس، ولا يشهده صاحبه. لذلك كل مَن يُزكِّي نفسه لا يُقبَل، هو غير مستحق؛ أما مَن يُزكِّيه الشهود عن صدق يكون هو المستحق:

+ «**فانتخبوا** أيها الإخوة سبعة رجال منكم، **مشهوداً لهم ومملوِّين** من الروح القدس **وحكمة**، فنقيمهم على هذه **الحاجة**.» (أع ٦: ٣)

* * *

الروح القدس لا يفيض في إنسان ليجعله خادماً بالروح إلاَّ إذا كان ممتلئاً سابقاً. ومَن لم يمتلئ، كيف يفيض؟

الروح القدس مستعدٌّ دائماً أن يملأ كل إنسان "تعوزه الحكمة"، ولكنه غير مستعد أن يعطي فيض الكهنوت لمن لم يمتلئ أولاً.

حلول الروح القدس بالشماسية يفيض على الشخص حكمةً وتدبيراً وعدم محاباة ويجعله أهلاً أن يخدم أعواز الناس.

وحلول الروح القدس بالقسوسية يفيض على الشخص مواهب الرعاية. يُعزِّي بشبه الباراكليت، ويُحامي عن حقوق الخراف، ويخدم الأسرار.

وحلول الروح القدس بالأسقفية يفيض على الشخص قدرة على النظارة، لأن ترجمة اسمه: "إبيسكوبوس" وتعني الناظر من أعلى.

حلول الروح على الأسقف هو حلول نهائي فوق حلول الشماسية والقسوسية، ولا يمكن رسامة أسقف إن لم يكن قد رُسِم شماساً أولاً وقساً، أي يكون قد حل عليه روح الحكمة وروح الرعاية حتى يأخذ روح النظارة.

والنظارة رؤيا من فوق، فالأسقف ينظر الكنيسة كما ينظرها الله.

فالأسقف في الكنيسة كالمسيح، أو كما يقول القديس إغناطيوس الأنطاكي، هو كالآب السماوي بيننا!! وهذا لأنه يملك الروح القدس ويُعطيه.

الأسقف هو بالنسبة للكنيسة مصدر إلهي تستمد منه الكنيسة

الروح القدس وعطاياه، والروح القدس يفيض من الأسقف بالمشيئة والصلاة.

والكنيسة لا يمكن أن تُدعى كنيسة بدون أسقف، لأنه ينبوع الروح القدس فيها، ومنه تفيض العطايا لها، وهو يُقيم خدَّامها ويسند رعاتها.

**حلول الروح القدس في الأسرار الأخرى:**

توجد في الكنيسة أسرار أخرى كثيرة غير محسوبة ضمن الأسرار السبعة. ولكن لا تخلو هذه الأسرار من حالات حلول أيضاً.

فمثلاً في حالة تكريس الرهبان يحلُّ الروح القدس بالصلاة، ويعمل بنعمته في الشخص المتكرِّس لحفظ البتولية والموت عن شهوات الدنيا.

وفي تكريس الكنائس يحلُّ الروح القدس بصلاة الأسقف لتقديس المكان وتخصيصه للصلاة.

وفي تكريس الماء يحلُّ الروح القدس ليجعل في الماء قوةً للتطهير والشفاء كما في طقس اللقّان، وبالأخص في عيد الغطاس "الظهور الإلهي".

وفي الصلاة على الموتى يحلُّ الروح القدس ليستلم هيكله(٢٩) الخصوصي.

* * *

(٢٩) حينما يصلّي الكاهن يطلب ويقول: "عن هذه النفس"، وذلك إشارة إلى وجود النفس أثناء الصلاة.

وهكذا نرى أن الروح القدس معنا باستمرار، يُرافقنا في كل أعمالنا كما كان المسيح يُرافق تلاميذه.

ولكن كل مرة تجتمع فيها الكنيسة للصلاة تحصل على حالة حلول، فيها نحصل على مؤازرة الروح القدس، كما يقول القديس إيرينيئوس:

[أينما وُجِدَت الكنيسة وُجِدَ الروح القدس؛ وأينما وُجِدَ الروح القدس وُجِدَت الكنيسة].

# ٣ ـ الحلول بالصلاة

**+ «ولما صلّوْا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس.»** (أع ٤: ٣١)

ليست كل صلاة يمكن أن يُلازمها حالة حلول.

وبالرغم من ذلك لا يمكن أن نضع شروطاً يمكن لمن يتبعها أن يوجد في حضرة الله أو في حالة حلول.

ولكن توجد صلاة حقيقية فيها نتواجه مع الله، ويجري حديثنا معه بثقة وفرح وقبول، وفي هذه يكون الروح القدس شفيعاً لنا في الصلاة: «لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح **نفسه** يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها» (رو ٨: ٢٦). هذه حالة حلول حقيقي.

* * *

الكنيسة تعلّمنا أن لا نكفَّ عن طلب حلول الروح القدس علينا بالصلاة يومياً.

وهي لا تكتفي أن نطلبه مرة واحدة في الصلوات الرسمية بل أربع مرات:

المرة الأولى في الساعة الثالثة من بدء النهار (التاسعة صباحاً)، وهي الساعة التي حلَّ فيها الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، وبهذه

الصلاة تنبِّهنا الكنيسة أن يوم الخمسين حاضرٌ معنا بالصلاة كل يوم.

ثم نطلبه ثلاث مرات في صلوات نصف الليل، وذلك رمز لانتظار مجيء الرب حتى الهزيع الثالث من الليل: «وإن أتى في الهزيع الثاني أو أتى في الهزيع الثالث ووجدهم (يصنعون) هكذا، فطوبى لأولئك العبيد.» (لو ١٢:٣٨)

ونحن نطلب حلول الروح القدس قبل مجيء الرب، لأنه كما يقول القديس باسيليوس:

[أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس.][٣٠]

ولأن المسيح قد نبَّه ذهن الكنيسة أن العريس سيأتي في نصف الليل، لذلك استعدت الكنيسة بالدعاء وطلب حلول الروح القدس في صلاة نصف الليل.

والكنيسة تعلِّمنا أن نطلب حلول الروح القدس هكذا:

[أيها الملك السمائي المعزِّي (الباراكليت)، روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، كنز الصالحات ومُعطي الحياة، هَلُمَّ تفضل وحلّ فينا.][٣١]

* * *

حينما تلتهب روحنا في الصلاة، حينما يتقد كياننا العقلي والجسدي كله كما بنار، فينتبه الذهن انتباهة روحية غير عادية، فينطق

---

(٣٠) St. Basil, *Contra Haeres.*, III, 24, PG VII, p. 966.

(٣١) "الأجبية المقدسة" ـ صلاة الساعة الثالثة.

الكلمة وكأنها قوة خارجة من أعماقه؛ حينئذ يكون الإنسان في حالة حلول الروح القدس وتكون هذه هي الصلاة بالروح.

في الصلاة الروحية يُشرق الحق على العقل كومضات من نور تملأ الذهن وتسري في الوجدان معاً وفي آن واحد. وتكون هذه الومضات مُحمَّلة بالإلهام والكشف والمعرفة.

لذلك كانت الصلاة ذات الحلول أساس الارتقاء، وذلك بتغيير الذهن من مجد إلى مجد، وليس الذهن فقط بل وكل مستويات الإحساس والتعبير.

وفي الارتقاء بالنفس دخولٌ في مجال الله وتوثيقٌ في العشرة الإلهية، لأن ازدياد المعرفة الروحية بالخبرة في الصلاة هي عينها تُنشئ الدالة والأُلفة مع الروح القدس وباقي الأقانيم.

الصلاة بالروح هي نفسها حالة ارتقاء ومصعد يقود إلى الله.

والصعود إلى الله هو انتقال من معرفة إلى معرفة أعلى، ومن وعي جديد لوعي أجدّ، ومن رؤيا إلى رؤيا، بلا توقُّف وإلى مالانهاية، والذي نأخذه بالصلاة في هذا الدهر نأخذه في الدهر الآتي بالتسبيح كشبه الملائكة.

الصلاة إذا بلغت إلى حالة الحلول تنشئ حالة حرية: «حرية مجد أولاد الله» (رو ٨: ٢١)، وذلك على أساس الحب والحق معاً، لأن معرفة الحق تحرِّر الذهن، والدخول في الحب الإلهي يُحرِّر القلب، فلا يعود الإنسان عبداً للقياسات العقلية ومنطق الناس ولا يرتبط بقلبه

بشيء من هذا الدهر.

ولنذكر ذلك القول المأثور عن القديس أنطونيوس الكبير حينما قال مرة لأولاده: "يا أولادي، أنا لا أخاف الله". فقالوا له: "هذا القول صعب يا أبانا"، فاستطرد قائلاً: "لأني أحبه..."!!

* * *

وليت القارئ يُفرِّق بين حالات الحلول الثلاثة للروح القدس:

**فالحلول بالكلمة** قلنا إنه يُتقن النفس ويفتح الذهن لتقبُّل كلمة الإيمان والنطق بالحق الإلهي، والشهادة للمسيح.

**والحلول بالأسرار** قلنا إنه اشتراك في الطبيعة الإلهية.

أما **الحلول بالصلاة** فهو حلولٌ للامتلاء بالروح القدس للمرافقة والصُّحْبَى، لأن الصلاة الروحية هي حالة عشرة مع الله.

هذه العشرة يصفها القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات هكذا:

[وأخيراً أجد أنه من الخير لي أن أعتصم بالمعرفة الرزينة بكل كياني، مستنداً على الكلمات القليلة والاستنارة التي تقبَّلتها من الروح القدس، متوكِّلاً على قيادته لحياتي ومحتفظاً به لنفسي رفيقاً وصديقاً حتى النهاية.][٣٢]

لذلك كانت حالات الحلول في الصلاة هي منتهى ما يبلغه الإنسان من قُرْبَى باللاهوت والامتلاء من الروح، وهي التي تؤهِّله للشهادة للحق بمنطق وحكمة لا تُعانَد: «لم يقدروا أن يُقاوموا الحكمة والروح

---

(٣٢) St. Greg. Naz., NPNF 2nd Ser., Vol VII, p. 328.

الذي كان يتكلَّم به (الشهيد اسطفانوس)» (أع ٦: ١٠). وإذا خدم، فتكون خدمته ملتهبة ذات تأثير شديد في النفوس: «فلما سمعوا **نُخِسوا** في قلوبهم... فقبلوا كلامه **بفرح**... وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع ٢: ٣٧و٤١)

والملء بالصلاة ملء متكرر يتجدَّد حسب الضرورة، كما رأينا في بطرس الرسول لما كان يمتلئ بالروح في كل مرة يُستدْعَى للشهادة.

* * *

ولكن الذي يهم القارئ هو كيف يصير هذا الملء؟ أو بالحري كيف نؤهَّل لمرافقة الروح القدس بالصلاة على هذا القياس الذي يُعتبر أساساً وضرورة لحياتنا المسيحية، سواء كنا مؤمنين عاديين أو كنا مدعوين للشهادة بإيمان أو كرازة بالكلمة أو خدمة الكنيسة بأي نوع أو مرشدين للنفوس؟

ونحن نريد أن نؤكِّد للقارئ أنه ليست الصلاة وحدها قادرة أن توصِّلنا إلى حالة الامتلاء من الروح القدس. فالامتلاء يأتي في الصلاة، ولكن لا يأتي بالصلاة وحدها.

لذلك حبذا لو يصحح الناس أفكارهم من جهة الامتلاء بالروح، فهو لا يُحصل عليه بكثرة الصلاة. ولا التوسُّل الشديد ولا الدموع أو الصوم يقدر أن يستدر الروح القدس ليملأ حياتنا.

ولكن يلزم أولاً أن نكون قد وفَّينا حقوق الإنجيل. يلزم أن نكون قد حفظنا الوصية، ونكون قد حفظناها عن حبٍ وليس عن غرض:

«إن كنتم **تحبونني فاحفظوا وصاياي**، وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم **باراكليتاً** (مُعزِّياً) آخر ليمكث معكم إلى الأبد.» (يو ١٤: ١٥و١٦)

وصلاة تكون على أساس حق الإنجيل وحب المسيح وحفظ الوصية هي الصلاة التي يكمل فيها الحلول ويكمل بها الملء.

ولكن هنا يعترضنا سؤال: أليس حب المسيح وحِفظ الوصية يحتاج إلى الروح القدس أولاً؟

هنا يجيب القديس أغسطينوس:

[ كيف يقول الرب: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر»، مع أنه بدون الروح القدس لا يمكن أن نحب الله أو نحفظ وصاياه؟

كيف نحب الرب أو نحفظ الوصية لنأخذ الروح القدس، مع أنه بدون الروح القدس لا نستطيع أن نحبه أو نحفظ وصاياه؟

ولكن علينا أن نفهم أن محبة الرب هي علامة على أن الروح القدس فينا، والذي عنده الروح يكون أهلاً لامتلاك وامتلاء أكثر من الروح، والإنسان كلما امتلأ من الروح أكثر كلما تأهَّل لحب الله أكثر.

هكذا كان التلاميذ في البدء عندهم الروح القدس، ولكنه لم يكن عندهم بالصورة الكاملة التي وعدهم الرب بها... كان عندهم بصفة محدودة وبصورة خفية غير مُعلنة، ولكنهم لما أكملوا وصية الرب: «احفظوا وصاياي»، تمَّ لهم الوعد وقبلوه وحلَّ عليهم بصفة متسعة جداً وبصورة علنية.

لذلك، فإن وعد الرب لنا بهذه الآية لا يكون عبثاً، سواء للذين لم يأخذوا بعد الروح القدس أو الذين أخذوه بصورة محدودة خفية. فالذي لم يأخذه بعد تصير له الآية دعوة للأخذ... والذي أخذ تصير له الآية دعوة لأخذ أوفر...][٣٣]

**القديس أغسطينوس**

ونحن حينما ننبِّه ذهن القارئ بضرورة إيفاء حقوق الإنجيل والوصية، لا نقصد أن هذا يكون ثمن الامتلاء بالروح القدس، ولكن القصد منه تهيئة الهيكل الداخلي للإنسان للحلول حتى الملء، وإعداد القلب ليمتلكه الروح القدس ويسير به.

صحيح أن قراءة الكلمة تُهيِيء للإنسان الحلول كما سبق وقلنا في درجة الحلول الأولى، وهي إن قُبِلَت باهتمام واشتياق وفرح، تطهِّر هيكل الإنسان الداخلي وهذا تعلَّمناه من الرب: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به.» (يو ١٥:٣)

وهذا أيضاً يؤكِّده يوحنا الرسول مُعتبراً أن قراءة الكلمة أو الاستماع إليها حالة غبطة: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون.» (رؤ ١:٣)

كذلك أيضاً صحيح أن الأسرار تُقدِّس هيكل الإنسان الداخلي بالنعمة والشركة في الطبيعة الإلهية مجاناً، ولكن المطلوب أن يكون للإنسان مشيئة واضحة عملية وجهد إرادي مبذول في سبيل جعل

---

(٣٣) St. August., *On the Gospel of John*, NPNF, 1st Ser., Vol. VII. p. 334.

الهيكل الداخلي مُقدَّساً ولائقاً وكاملاً لقبول ملء الروح القدس لعشرة دائمة وصُحْبَى أبدية.

لذلك نسمع الآية آمرة أمراً: «احفظوا وصاياي»، وثمنها: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر».

وهنا نلاحظ أن الصلة بين عطية المعزِّي «ليمكث معكم إلى الأبد»، وبين «احفظوا وصاياي»؛ صلة شرطية يلتزم بها الساعي نحو الملء من الروح القدس أشد الالتزام.

ولكن ما هي الوصية؟

١ ـ هل الوصية **آيات نحفظها بعقلنا؟**

٢ ـ أم هي **مفهومات إلهية نتقِن فهمها ومعرفتها؟**

٣ ـ أم هي **سلوك نحاول بالجهد أن نتمِّمه حسب الوصية؟**

ولكن لو تمَّمنا كل هذا نجد أنه يعوزنا شيء.

يوجد شيء في الوصية أكثر من احتمال العقل والمعرفة والسلوك! هو روح الوصية لأن الوصية روح!!

**روح الوصية:**

يستحيل أن نأخذ روح الوصية إلاَّ عن طريق الروح القدس، ونحن لا نتعجَّب الآن بعد أن استمعنا لقول القديس أغسطينوس من أن الروح الذي فينا هو الذي يؤهِّلنا للملء منه.

فالروح القدس أولاً وآخراً منه نبدأ وبه نمتلئ.

الروح القدس عرفناه من الكتاب المقدس ناراً إلهية ألقاها الرب على

أرضنا وهو لا يريد إلاَّ اضطرامها فينا!

**أ ـ فإن أردت أن تقبل الوصية بعقلك:**

اقبل الروح الذي فيها **كنار عقلية**، كلسان النار الذي استقر واستراح على رؤوس التلاميذ، فهذا هو روح الوصية الذي يحرق من عقلك شوائب الفكر والمنطق البشري السقيم حسب قياسات الناس فيجعل منطقك إلهياً بسيطاً حسب الوصية، وفكرك مسيحياً حسب فكر المسيح!! وهكذا يصير حفظك للوصية حسب الروح، وهذا يؤهِّلك للملء منه.

وفي هذا يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:

[توجد نار مطهِّرة جاء المسيح ليُلقيها على الأرض، والمسيح نفسه نار عقلية يحرق فينا كل ما هو مادي وكل شوائب السلوك... هذه النار يلهبها ويشاء لو يضرمها على أقصاها، لأنه يتلهَّف لتطهيرنا وتقديسنا ويسعى إلى ذلك سعياً شديداً، ويُقدِّمها: «جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك، فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش ٦:٦و٧)].

**ب ـ وإن أردت أن تقبل الوصية كمفهوم إلهي تعرف به الحق:**

فاقبل معها روح الحق، وروح الحق نار أيضاً تحرق من الإنسان الجبن والرعدة والأخذ بالوجوه ومجاملات الناس ومديحهم في الوقت الذي ينبغي أن يُقال فيه "لا يحلُّ لك" (مت ١٤:٤)، و«أنت هو الرجل» (٢ صم ١٢:٧ ـ ناثان النبي يوبِّخ داود). الوصية كمفهوم

إلهي لا تُحفظ إلاَّ على أساس "طاعة الله أكثر من الناس" (أع ٥:٢٩)، و«فلو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح.» (غل ١:١٠)

الوصية كمفهوم إلهي لا تُحفظ إلاَّ على أساس «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح.» (في ٣:٧و٨)

**ج ـ إن أردت أن تحفظ الوصية كسلوك:**

فاقبل الروح المبكِّت الذي يُبكِّت كل حين «على خطية» (يو ١٦:٨)، لأنه يكون فيك كنار تحرق في الضمير وتسري في أعضائك لتبدِّد الشهوات الجانحة نحو الكبرياء والعجرفة والاعتداد بالذات والجنوح نحو الشهوات المفسدة.

روح الوصية في السلوك نارٌ مبكِّتة، لا تنحصر في الإنسان حتى تؤدِّبه بأدب الله وتمرره من تحت العصا، والذي لا يحتمل نار تبكيت الروح المحرقة عبثاً يكون حفظه للوصية، وهيهات إن هو رأى الملء.

وفي هذا يُكلِّمنا القديس غريغوريوس بكلمات مُبكِّتة لعلَّها تقع من القارئ موقعاً حسناً:

[يا إخوة، طهِّروا أعضاءكم وحواسكم... ولا تبقوا فيكم عيباً بعد أن اعتمدتم ووُلدتم جديداً... اجتهدوا أن تستنيروا ولا تتركوا فيكم شيئاً إلاَّ وهو ينير.

عيونكم أنيروها لتستقيم أمامكم الرؤيا، انزعوا منها الزنا...

آذانكم وألسنتكم أنيروها لكي إذا قرأتم أو سمعتم كلمة الله تفهموا المحبة... والمسرة والبهجة لا تستقر إلاَّ في الأُذن التقية.

لا تجعلوا لسانكم سيفاً يقطع في الناس وموسى يجرح، ولا تخفوا تحته الخصام والنزاع، فلم يُجعل اللسان لهذا بل ليلهج بحكمة الله وينطق بالأسرار... والحكمة هي كرامة الألسنة التي مسَّتها نار الله.

اشفوا حاسة الروائح... تضمَّخوا بالطين والتراب عِوَض العطور لتستطيعوا أن تتنسموا خفياً بالسر رائحة الطيب المقدس الذي أُهرق لنا على الصليب!... فتتحوَّلوا أنتم بشبهه وتصيروا رائحة المسيح الزكية.

طهِّروا ملامس أيديكم وأبدانكم ومذاقة أفواهكم، لتلمسوا سراً وتذوقوا الرب وكلمته فتدوم لكم حواسكم وتدوم لكم سعادتها...

واعلموا أن لذة التراب لا تدوم، هي قصيرة وليس لها مجازاة...

وهي تَعْبُر سريعاً ولا يبقى لصاحبها منها شيء![٣٤]

**السلوك كطريق:**

روح الوصية هو تبكيت الروح القدس، هو نار، وهو طريق الملء، وهو طريق ضيق، لا يسير فيه إنسان طامع في الدنيا أو طامح لمركز ووظيفة أو مرتئي إلى أعلى من قامته.

---

(٣٤) St. Greg. Naz., *Oration XL*, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII.

تبكيت الروح القدس لا يعمل ولا يحرق إلاَّ في انحصار المذلة، في النفس التي وضعت في نفسها حُكْم الموت لعلَّها تبلغ إلى قيامة أفضل.

**الروح القدس يقود في السلوك:**

الإنسان الساعي إلى الوصية بالروح القدس غير الإنسان الساعي إلى الفضيلة. فالأول سلَّم نفسه نهائياً لقيادة الروح القدس، أما الثاني فهو يسعى بنفسه، والاثنان على نقيض.

فالأول تجده ساقطاً من ذاته بسرور، هابطاً بتلقائية لذيذة غير متحفظة، أعدَّ نفسه إلى أقصى ما يبلغه الهبوط بالنفس حيث اللاشيئية والموات وغير الموجودية، حيث الله والملء!!

أما الثاني فهو مرتفع بذاته، وإنما بطريق ملتوية. طامح في رفعة إرادية، أعدَّ نفسه لها، مهما تمادَى في هبوطه المصطنع ومهما تهاوى عن مستواه الذي يتمسك بما هو أرفع منه، حيث ملء الغرور وفراغ الذات الذي يرن طبلة جوفاء.

* * *

التبكيت بالروح القدس هو روح الوصية وهو استسلام لأقصى ما يمكن أن يُصاب به الإنسان في سبيل تكميل الوصية، ولا يمكن أن يُصاب الإنسان في الدنيا بأكثر من الصليب! حيث ملء المجد.

**روح الاتضاع الحق:**

إذا وقع الإنسان تحت تبكيت الروح القدس واستسلم بغير تململ لفاعليته المحرقة بتجاربه المُرَّة، فهو بالغ الاتضاع لا محالة، ولكنه اتضاع

حق وليس كاتضاع السعي وراء الفضيلة، لأنه اتضاع لا يَنزع إلى رفعة ولا إلى تعويض، بل هو فرح بالنزول بالنفس ثم النزول بها والنزول بها إلى مالانهاية!!

**روح الطاعة الحقَّة:**

إذا انصاع الإنسان لتبكيت الروح القدس بانفتاح ووعي، أدرك تقدُّمه في طريق النور نحو مصدر النور مهما اكتوت رجلاه بنار التجربة. وهو بذلك الشعور بالغ الطاعة في حقيقتها، وعلى قياس المسيح «**تعلَّم الطاعة مما تألَّم به**» (عب ٥:٨)، لأنه يستحيل أن يُدرك الإنسان معنى الطاعة ويُحققها على قياسها الإلهي كوصية الله ــ لا الناس ــ إذا لم يحس إحساساً صادقاً غاية الصدق أن طريقه يقترب كل يوم إلى الله وإلى الملء.

فالطاعة ليست عُصابة تُلطِّخ بها العينين ليسير الإنسان من ورائها سير الأعمى خلف إنسان آخر مهما كان هذا الآخر، فيسقط راضياً فيما يسقط فيه هذا الآخر، ويقوم مترضِّضاً بما يترضض به هذا الآخر، حاشا، ليست هذه وصية الله!

فالطاعة استجابة لنداء الله، وسير حثيث صوب هذا النداء بتلقائية الروح القدس الساكن في الإنسان، مهما تكلَّف الإنسان في سيره ولو إلى جحد نفسه والدنيا وكل الناس.

والطاعة تزداد بالتجربة، وتنضج في الآلام، وتبلغ النهاية بالصليب: «**تعلَّم الطاعة مما تألَّم به**».

## روح المحبة:

الوصية تقول: "أحبوا، أحبوا أعداءكم"، ولكن كيف نحب الأعداء إن لم تمت وتتلاشى منا العداوة؟

روح الوصية نارٌ، نار تحرق منا البغضة والعداوة والحقد. فإذا لم نأخذ روح الوصية ونستسلم لفاعليتها المحرقة لن نُشفى من مرض البغضة، ولن نبلغ المحبة، وبالتالي لن نرى الملء! مهما كانت صلاتنا بصراخ ودموع.

إذا استسلم الإنسان لتبكيت الروح القدس؛ انكشف له الموت الرابض بالعداوة في قلبه؛ واستُعلنت له الهاوية وجهنم التي استقرت في أحشائه متأسِّسة على الحقد المستتر والنقمة والبغضة والانتقام، تلك التي عشعشت في القلب على مدى العمر فمنعت النعمة وسدَّت الطريق على الروح القدس، والإنسان لاهٍ عن نفسه، ويطلب أن يمتلئ بالروح القدس وهو مملوء موتاً.

فإذا قبلنا روح الوصية أدركنا كيف نغلب الموت الذي فينا بالعداوة وحينئذ نبلغ المحبة. المحبة القائمة على أساس العرفان بفضل الناس جميعاً والأعداء بصورة أفضل وأهم، لأنهم يطبِّبون كبرياءنا ويكشفون عوار قلوبنا.

## روح الوصية هبة:

وروح الوصية هبة يُعطيها الروح القدس للساعين نحو حفظها من قلب مستقيم، وبها نحفظ الوصية بالحب ونبلغ وعد الرب حيث ملء الروح القدس.

**كلمة في الختام:**

وفي ختام هذا الفصل، نؤكّد للقارئ شدة الحاجة إلى الملء من الروح القدس بالصلاة القائمة على أساس الوفاء للإنجيل وحِفْظ الوصية.

فالروح القدس أُرسِل لـ "يمكث فينا" إلى الأبد ليكون لنا، كما كان المسيح لتلاميذه وخواصه، في رفقة وألفة وصُحْبَى إلهية!!

الروح القدس شيء، وعطية الروح القدس شيء آخر.
ونحن نطلب الروح القدس شخصياً بالصلاة.

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول هكذا:

[إن الروح القدس الآن يسكن بشخصه في وسطنا ويستوضح نفسه لنا.](٣٥)

وهذا هو غِنَى العهد الجديد وفضل انفتاح اللاهوت علينا بالمسيح.
فصار يغشانا الروح القدس ولا يُلاشينا.
يملأنا ويظل مستتراً فينا.
يتشخَّص فينا بنفسه ولا يظهر إلاَّ شخصنا.
ينطق فينا جهاراً ولا يُسمع إلاَّ صوتنا.

كما يقول القديس باسيليوس:

[إن صوت الروح القدس يصبح هو نفس صوت الذين

---

(٣٥) Ibid., *Fifth Oration*, p. 326.

يتقبَّلونه.][٣٦]

يُرافقنا في كل لحظة ولا نُرَى إلاَّ وحدنا.
يهبنا معرفة كل الحق وكأننا نعرف من أنفسنا.
يُحرِّر نفوسنا من قيود الدنيا وكأننا تحرَّرنا بجهدنا.
يهبنا مشيئة الله ويُحرِّكنا بإرادة العلي وكأننا نشاء من أنفسنا.
يسكب نعمته في قلوبنا فنلتهب بالحب ونبذل حتى الدم وكأننا نحن الباذلون ونحن المحبون.

ولكن لا يأتينا الروح القدس ولا المسيح بشخصيهما إلاَّ إذا عرفناهما أولاً بالكلمة، ثم قبلنا طبيعتيهما فينا بالأسرار!

لأنه يلزم أن نكون ودعاء ليرافقنا الوديع.
يلزم أن نكون أحباء ليُلازمنا الحبيب.
يلزم أن نكون مقدَّسين لنُلازم القدوس.
يلزم أن نكون حارِّين بالروح لنحتمل سُكنى الروح الناري.

وها نحن قبلنا في صميم طبيعتنا نار الروح القدس بالمعمودية والأسرار، وما بَقِيَ علينا إلاَّ أن نقبل اشتعال النار الإلهية فينا، لنصير لائقين لرفقة الروح القدس.

* * *

نحن بالكلمة نتعرَّف على ذات الله، وبالأسرار نشترك في طبيعة الله،

---

(٣٦) St. Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 36.

وبالصلاة نحب الله ونسير مع أقانيمه.

في الكلمة يعمل الإيمان.
في الأسرار يعمل الرجاء.
في الصلاة يعمل الحب.
وبالثلاثة تتم وحدة الملء،
تكمل الشركة في اللاهوت،
ونبلغ الاتحاد بالله.

* * *

ليس من الهيِّن اقتناء الروح القدس. ليس بمجرد الصلاة يمكن أن نتصادق معه، ولا بالسؤال الشديد يمكن مرافقته.

يجب أن نلتزم التعقُّل في هذا الطلب المقدس، هو من حقنا، ولكن يلزم أن نتمِّم درجاته ونوفي حقوقه، كما قدَّمناها.

فإذا أغفلنا شيئاً منها فلا نظن أننا نصل إلى الملء، ولو صرفنا العمر كله في السؤال.

أما إذا أكملنا مطالب الكلمة والأسرار، وانسكبنا بالصلاة، وعكفنا على تقديس هياكلنا بالخضوع لفاعلية الروح القدس وتبكيته؛ فلا يعود أمامنا إلاَّ أن نمتلئ منه بالحب.

* * *

وهنا نحن نضع أمام القارئ دعوة للملء يُقدِّمها لنا كلٌّ من القديس

أنبا أنطونيوس والقديس أنبا مقاريوس الكبير:

[هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. أما إذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، فقدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم بالصلاة...

ولا تُفكِّروا في قلوبكم وتكونون ذوي قلبين وتقولون مَن يقدر أن يقبل هذا... لا يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تخطر على قلوبكم، بل اطلبوه باستقامة قلب فتنالوه... وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تنالوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على نواله، لأن كل مَن يُفلِّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له كل حين وإلى الأبد. وهو يكشف لكم الأسرار العلوية.][٣٧]

**القديس أنطونيوس ـ الرسالة الثامنة**

[إن قوة نعمة الله في الإنسان عندما تحسب النفس أمينة لقبول الحكمة، تُعدُّها لنوالها بعد جهاد عظيم وصبر كثير وتجارب منوَّعة لاختبار إرادتها، فإذا احتملت النفس ولم تحْزِن الروح القدس وكانت موافقة له، فإنها تُحسَب أهلاً لأن تُطلَق من شدائدها لتنال ملء الروح القدس وغِنَى الحكمة التي ليست من هذا العالم.][٣٨]

**القديس مقاريوس الكبير**

---

(٣٧) كتاب: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الخامسة ١٩٨٦، ص ٢١٢ و٢١٣.

(٣٨) كتاب: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الخامسة ١٩٨٦، ص ٢١٦.

## الفصل الثالث

# عوائق الحلول والامتلاء من الروح القدس

لما دخلت المسيحية إلى العالم هتفت الملائكة بنشيد المجد لله والفرح للناس والسلام للأرض.

ولكن قليلاً قليلاً دخل العالم في كيان المسيحية فقلَّ تمجيد الله في قلوب الناس وانحبس الفرح الحقيقي وضعف السلام على الأرض.

كيف دخل العالم في كيان المسيحية؟

هذا ما نعرض له في هذا الفصل بكثير من الاختصار.

# أولاً: المادية في المسيحية

المسيحية حياة روحية على مستوى عملي كما رأيناها في عصورها الأولى وفي كل عصورها الناهضة. فإنْ هي جنحت نحو المادية فقدت قوتها، لأن قوتها الروح القدس.

الروح القدس أو المادة!! اختر لنفسك واحداً منهما.

* * *

المسيحية الآن جنحت وراء المادة، وهذا هو سر انحصار الروح القدس وانعزاله عن حياة الناس!!

ولكن ما هي المادية؟

المادية في المسيحية هي هكذا:

**١ ـ الاعتماد على المال:**

لتوفير مستقبل مضمون، وحل المشكلات المستعصية على مستوى الرشوة!!!

توفير مستقبل مضمون أو "تأمين" المستقبل، وحلّ المشكلات المستعصية هو من عمل الروح القدس! فإن أنت اعتمدتَ على المال، فلا تطلب، يا أخي، الامتلاء من الروح القدس، ولا تتأسف على ضعف الكنيسة، فقد وضعنا السر بين يديك.

**٢ ـ الاعتماد على القوة:**

لتأمين **المنفعة والكرامة** وحفظ **هيبة الإنسان!!**

فإن استخدمتَ قوتك في هذه الميادين، فلماذا تطلب الروح القدس؟

الروح القدس هو قوة **المظلومين** والذين **بلا كرامة والمزدرَى بهم**.

**٣ ـ الاعتماد على السياسة والدهاء:**

لتأمين الحقوق من الضياع واكتساب فرص جديدة في الحياة.

هذا ضد وصية الإنجيل، فإن كنتَ تسلك ضد الإنجيل فلا تظن أنك في المسيح، ولا ترتجِ نمواً ولا ملئاً بالروح.

**٤ ـ الاعتماد على الملذات:**

للتسلية و"العزاء" المصطنع وتأمين النفس ضد رؤية ذاتها.

الروح القدس يُدعَى بـ "المعزِّي"، وعمله هو حفظ توازُن سلام الإنسان وراحته الداخلية تجاه ضيقات وأتعاب النفس والجسد.

إذا طلبتَ التعزية من غير "المعزِّي"، فأنت تتجاهل اختصاص الروح القدس.

**٥ ـ الجنوح إلى الزنا:**

هرباً من واقع الجهاد وتأمين الذات ضد الخوف من العزلة.

المسيحية واقعها جهادٌ ضد النفس وجحدٌ لشهوات الذات، وهي بالروح القدس عطاء وانسكاب وبذل.

فإذا هربنا من الجهاد هرب منا الروح؛ وإذا خفنا العزلة، كيف نبلغ إلى العشرة مع الروح القدس.

**٦ ـ تفشِّي روح الحسد والبغضة والغيرة والتحزُّب:**

هذه هي الحيوانية في الإنسانية. هذه هي رؤوس التنانين التي تطفو على وجه النفس لتثبت للإنسان علناً أنه لا يزال يحيا حيوانياً، ولا يزال يعيش في الإنسان العتيق.

* * *

الإنسان الذي يكتشف في نفسه شيئاً من هذه المادية العالمية، فلْيَعْلَم أنه لا يزال يعيش في واقعية الدنيا الميتة، ينساب مع تياراتها الطبيعية كإحدى الخلائق غير الروحانية.

نحن مدعوون من قِبَل الروح القدس أن لا ننساب في مستويات العصر ونحيا فيها كما هي بحالتها الواقعية وبدون فحص.

الروح القدس هو القوة التوازنية التي تحفظ مستوى الإنسان روحياً وهو في صميم واقع الدنيا المادية!

الروح القدس سندٌ للإنسان في جهاده تجاه واقع الحياة والجسد وكل القوى والدوافع الغامضة المنسابة في العالم وفي الجسد.

هو يدفع الإنسان إلى الأمام، وفي نفس الوقت إلى فوق، حتى لا يتخلَّف عن رَكْب الحياة من جهة؛ ومن جهة أخرى لا ينحطّ فيغرق في لُجة العصر وتياراته المادية المُهلكة.

فهو يَعْبُر بالإنسان باستمرار ـ وعلى درجات متقاربة جداً ـ من واقعه المادي إلى مستقبله الروحي.

* * *

الروح القدس لا يحوِّل الإنسان إلى روح محض ولا يلغي المادة، وإنما يُجدِّد نظرتنا، ويُعدِّل غايتنا، ويحوِّل طريقنا من المستوى المادي المحض إلى المستوى الروحي في استخدام غرائزنا وعواطفنا ومواهبنا، من الإحساس المقفل بالحاضر المادي إلى إحساس منفتح وممتد في المستقبل.

وبدون الروح القدس يُحتمَل وقوع الإنسان في إحدى هاويتين: إما هاوية الاعتماد الكلّي الشديد على المادة والقوة والذكاء والغريزة لتأمين حياة الإنسان حسب واقع الحاضر؛ وإما هاوية اليأس الكلّي الشديد من قيمة المادة والقوة والذكاء والغريزة حيث يقف الإنسان وسط رَكْب الدنيا ويسقط في بالوعة اليأس.

* * *

ولكن الروح القدس يمسك بالإنسان ليعبُر به هاتين الهاويتين:
فبالنسبة للأولى يفتح بصيرة الإنسان **لواقع المستقبل وحقيقة الروح**، وحينئذ ينكشف له أن المادة ليست كل شيء، ولا بالقوة والقدرة يحيا الإنسان، ولا الذكاء يقدر أن يُجنِّب الإنسان مزالق الطريق.

وبالنسبة للثانية يفتح بصيرة الإنسان **للحاضر كأساس لبلوغ المستقبل**، ويكشف له **حقيقة المادة أنها وسيلة طيِّعة للارتقاء إلى**

**الروح**، وأنها **حقيقة الحاضر** الذي نحياه وإن كانت ليست حقيقة المستقبل الذي نزحف إليه!

الإنسان بكيانه المادي يميل إلى أن ينحصر في الحاضر. لذلك فهو مُعرَّضٌ للسقوط من المستقبل.

كذلك فإن الإنسان بكيانه الروحاني، يميل إلى أن ينحصر في المستقبل. لذلك فهو مُعرَّضٌ للسقوط من الحاضر.

عمل الروح القدس أن يُحقِّق للإنسان مستقبله في حاضره، لأن الروح القدس هو نفسه حقيقة الحاضر والمستقبل معاً.

ففي الحاضر يُعلِن للإنسان حقيقة المادة أنها نافعة ولائقة للحياة الحاضرة، إذ هو الأقنوم الإلهي الخالق لها مع الآب والابن.

كما أنه يعلن لنا المستقبل من صميم حاضرنا، فهو لا يزال يعمل فينا بكافة الوسائل ليرفعنا من مستوى المادة والحاضر إلى الإحساس بالمستقبل لنمتدَّ نحوه باستمرار حتى لا نموت في حاضرنا المادي.

عصر الكنيسة الآن هو عصر الانتقال من المادية إلى الروحانية، هو عصر الروح القدس!

ولكن للأسف، فالكنيسة تميل الآن إلى الانتقال من الروحانية الموروثة إلى المادية الحديثة!! ويا للخطورة لأنها تتخلَّف قليلاً قليلاً عن مجال الروح القدس.

✞ ✞ ✞

# ثانياً: الشكلية في المسيحية

هناك ميل واضح بين المؤمنين لاستبدال الاتصال المباشر بالروح القدس من خلال الإيمان والعقيدة والطقس والأسرار والصلوات، إلى الاكتفاء بشكليات هذه الوسائط.

مع أننا مدعوُّون إلى الاتصال بالروح القدس لنوال قوته وعطاياه وتعزياته من خلال الطقوس والصلوات والأسرار.

فإذا لم نبلغ هذه الغاية فَقَدَت الطقوس والصلوات والأسرار غايتها!

* * *

الشيطان لا يترصَّدنا في الشوارع فقط أو في الأماكن العامة أو في وسائل المواصلات؛ بل هو يتعقَّبنا في الكنيسة وفي الصلاة وفي الأسرار وفي القراءة والخدمة، حتى في أعماق إيماننا وعقيدتنا. ألم يقل الكتاب عنه إنه يستطيع أن يتراءى كملاك نور (٢كو ١١: ١٤)!؟ وأنه يضلّ ولو أمكن المختارين أيضاً (مر ١٣: ٢٢)؟

وأصعب ضربة يسددها إلى الكنيسة وإلى المؤمنين الأتقياء هي أن يجعلهم مكتفين بشكليات الديانة ومراسيم الطقس، ويقف بهم عند حدود راحة النفس بعد تكميل الصلاة أو الخدمة.

مع أن هذه كلها لابد أن تنتهي بانفعال ونمو ونعمة فوق نعمة. وكل تكرار في الصلاة أو ممارسة الأسرار بدون نمو وبدون أخذ في

كل مرة، هو تكرار باطل كما قال الرب: «لا تكرروا الكلام باطلاً.» (مت ٦:٧)

المسيحية ليست فيها شكليات البتة. فالشكليات في المسيحية هي حقائق وحقيقتها هي الروح القدس، لذلك يلزم أن تنتهي بعطاء ونعمة. يلزم أن نواجه فيها لمسة الروح، ونخرج منها كل مرة بغنائم.

هي ليست طريقاً دائرياً يعود كل مرة على ذي بدء، بل هي طريق مستقيم صاعدٌ بالإنسان.

الشيطان يترصَّدنا حتى لا نمتد أو نصعد. هو يمنعنا أن نبدأ، فإذا بدأنا، يحاول أن يمنعنا. فإذا سرنا، فإنه يدور بنا حتى نعود دائماً إلى حيث ابتدأنا ويوهمنا أننا سائرون!

الروح القدس ليس فيه شبه «ظل دوران.» (يع ١:١٧)

فالذي يسير بالروح القدس لابد أن يصعد، لابد أن يتغيَّر «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو ٣:١٨)

ولنحذر دائماً أن الأشياء التي نهتم بها ونقدِّسها جداً ويتعلَّق بها قلبنا هي هي نفسها معرَّضة لغش الشيطان وإفساد غايتنا منها، حتى ولو كانت هي حبنا للكنيسة أو العقيدة أو الطقس أو الكتاب المقدس أو القديسين أو الألحان أو الصلاة نفسها. فإن الشيطان يحاول أن يجعلنا ننحصر فيها شكلياً دون أن نمتد فيها حتى نبلغ بها إلى الله وإلى العشرة معه فيها.

✞ ✞ ✞

# ثالثاً: الآلية في المسيحية

لا نقصد بالآلية استخدام الآلات، وإنما نقصد استخدام الطرق غير الروحية على وجه العموم في الخدمة والكرازة والنشاط الروحي.

فالكنيسة ابتدأت تستخدم أساليب عالمية تعتمد على العقل وحيل النفس و"التكتيك" و"التخطيط" وبقية الأسماء والمصطلحات الخلاَّبة الأخرى.

**الكنيسة لا تعرف في طرق الخدمة والكرازة والنشاط إلاَّ الاعتماد الكلِّي على إرشاد الروح القدس وتوجيهاته، وتدخُّله الشخصي، ومرافقته وحثه للقلوب، وإقناعه للناس، ومحاماته وتشجيعاته، وتكميله عجز المنطق البشري وعجز القوة وعجز المال.**

فالروح القدس يقود الخدمة بشخصه، وهو كفيل بالثمر على قدر الاعتماد عليه.

وأية محاولة للاعتماد على الآلية العقلية أو النفسية أو التكتيك العلمي أو وضع الخطط، هو بمثابة الاستغناء الجزئي عن الروح القدس والاعتقاد بعدم كفايته!

ويكفي للقارئ أن يعرف أن أنجح الخدام والرسل والكارزين، سواء كانوا في العصور الأولى أو الحديثة، هم الذين ألقوا بكل وسائل

العقل والمادة والقدرة والاعتماد على الناس والسلطات، واكتفوا بقوة ومؤازرة الروح القدس في إيمان شديد، وكانت لهم به صحبة ودراية ومحبة.

كذلك ليعلم القارئ أن بدء ظهور الآلية العقلية والتكتيك والتخطيط هو نفسه بدء انسحاب الروح القدس من الخدمة.

فإن كانت الخدمة متوعكة، والخدام شبه عاطلين روحياً، والرعية متبدِّدة، والكنيسة في ركود مزعج ومميت؛ فبسبب الاستغناء عن الروح القدس بوسائل أخرى.

الروح القدس بداية ونهاية، وكل بداية لا تبتدئ به تنتهي حتماً خارجاً عنه.

✞ ✞ ✞

# رابعاً: الدعاية في المسيحية

**١ ـ دعاية الأشخاص:**

لقد رذلها المسيح جداً: «لا تُصوِّت قدَّامك بالبوق!» (مت ٦:٢)

الدعاية بأي شكل من أشكالها لا تدخل ضمن حق المسيح ورزانة الروح القدس، هي مُضافة جملة إلى أفعال الرياء: «كما يفعل المراؤون.» (مت ٦:٢)

وإن كانت الدعاية لشخص ما، مهما كان هذا الشخص فهي سلب لمجد الله : «لكي يُمجَّدوا من الناس» (مت ٦:٢). هي ريائية مكشوفة، وهي منتهى ما تبلغه الشخصية المسيحية من الانحدار في مستويات الفهم الروحي.

المسيحية لا تعرف الإعلان عن كرامات الناس: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض.» (يو ٥:٤٤)

المسيحية لا تعرف كرامة لإنسان ما خارج الصليب، وكرامة الإنسان صليبه إن كان يحمله حسناً.

كرامة المسيح ومجده كانت فضيحة الصليب، فقد قيل عن صلبه هكذا: «لأنه لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو ٧:٣٩)، وألاَ يكفي العبد أن يكون كسيده (مت ١٠:٢٥)؟؟

الروح القدس يأخذ مما للمسيح ويعطي الذين هم للمسيح! فإن

زاغت النفس عن مُرِّ الصليب وهامت وراء حلاوة الكرامة وارتاحت إلى صوت الأبواق: «لكي ينظروكم» (مت ٦:١)، ينحصر عنها الروح القدس إذ لا يجد فيها راحته لأن الروح القدس لا يرتاح إلاَّ في مديح المسيح: «ذاك يُمجِّدني!» (يو ١٦:١٤)

الروح القدس يقود النفس بحذر حتى يوصِّلها إلى الصليب لتأخذ أجرها من عليه، من أعماق نكران الذات ومن صميم الألم، فتنال قيامتها سرًّا مع المسيح والظلام باقٍ!!

الروح القدس لا يعمل في النفوس علانية ولا على أصوات الأبواق ولا من تحت الألقاب ولا في ضجيج الدعاية للأشخاص.

الروح القدس وديع كالحمامة ومُحرق كلسان النار!
يستقر ويستريح على الرؤوس المنحنية ويحرق ويُبدِّد كبرياء الإنسان.

**٢ ــ دعاية الخدمة:**

الدعاية الوحيدة للخدمة هي فاعلية الكلمة في القلوب.

الروح القدس هو الذي يمجِّد الخدمة، ويُعلن عنها باستعلانه هو شخصياً في قلب المتكلِّم وفي قلوب السامعين.

فلا الإعلانات ولا البيانات ولا الأرقام تستطيع أن تجعل الخدمة ناجحة أو تؤثِّر في قلوب الناس أو تستدر الروح القدس أو تقنعه أن يعمل ويباشر سلطانه.

الإعداد للخدمة غير الإعلان عنها، فإعداد القلوب لسماع الكلمة هو عمل هام وخطير لنجاح الخدمة، ولا يتم إلاَّ بانسحاق المتكلِّمين

وفي هدوء شديد واتضاع.

نجاح الخدمة ليس في شهرة المتكلِّمين وأسمائهم وألقابهم، ولا حتى في عدد الحاضرين أو النادمين.

وإنما نجاح الخدمة يتوقَّف على مدى استعلان الصليب في حياة المتكلِّم ومدى استعلان الصليب للسامع.

فإذا استُعلنت قوة الصليب وصار المسيح ظاهراً في سرِّ آلامه وقيامته، حينئذ ينجذب الجميع بلا إعلان.

ولنذكر ما قاله الرب، لأن فيه كل قوة إلهام الخدمة الناجحة: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض (مشيراً إلى الصليب) أجذب إليَّ الجميع.» (يو ١٢: ٣٢)

إذن، فبقدر ما يُستعلن الرب هكذا مرفوعاً على الصليب فسوف ينجذب الجميع!! ولكن الرب لا يُستعلن بالكلام بقدر ما يُستعلن بالروح القدس العامل في حياة القادة والمتكلِّمين.

الإعلانات الحديثة المغموز فيها عن مقدرة المتكلِّمين وشهاداتهم وألقابهم نوع من الاصطياد المزيَّف، وهي شبكة واهية، خيوطها بشرية عقلية كاذبة، وعيونها واسعة لا تحبس إلاَّ الأسماك التافهة، فإذا طرحتها على الناس لا يلبث أن يُمزِّقها الناس وينفلتون ولا يعودون، ولا تعود شبكتك تصلح للصيد!

الرب صياد ماهر، علَّم صيادي السمك صُنع الشِّباك الروحية: «هَلُمَّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس» (مت ٤: ١٩)، «أتحبني؟ ارعَ

غنمي!!» (يو ٢١: ١٥ـ١٧)

شبكة الروح القدس خيوطها مغزولة بالحب، عيونها دقيقة مخفيٌّ فيها سر الصليب، ولا تتسرَّب منها إلاَّ الأسماك الردية!

والصياد الماهر حينما يطرح شبكته الثمينة، يطرحها من فوق من السماء بقوة سرِّية بإلهام الروح لا بمقدرة الذراعين والمنطق، هو "يرتفع عن الأرض" ليطرحها من فوق الصليب، وحينئذ «يجذب إليه الجميع» بسلطان!

أما «الذي من الأرض هو أرضيٌّ، ومن الأرض يتكلَّم» (يو ٣: ٣١)، والدعاية كلام من الأرض.

✞ ✞ ✞

# خامساً: الاحتكارية في المسيحية

الروح القدس صاحب السلطة في الخدمة، وليس لأحد أن يدَّعي لنفسه السلطة المطلقة، لأنه وإن كان الروح يعطي سلطانه للخدَّام والكنيسة، لكنه لا يتنازل عنه ولا يفقده.

الروح القدس لا يُسلِّم منصبه لآخر: «هو يُعلِّمكم كل شيء.» (يو ١٤: ٢٦)

هو يُعطي السلطة لمن يستحقها، ولكنه لا يتخلَّى عنها كأنه غير موجود.

الأرثوذكسية لا تؤمن ولا تحيا بالأوتوقراطية الدينية.

الأرثوذكسية ديموقراطية إلهية = "عمانوئيل" "الله معنا".

كل الدرجات الكهنوتية في الكنيسة تتم بالاختيار الحر، والاختيار نفسه هو تعبيرٌ عن الحرية في الأرثوذكسية، والحرية تعبير عن عمل الروح القدس لأنه «حيث روح الرب هناك حرية.» (٢كو ٣: ١٧)

الأرثوذكسية لا تؤمن بالعصمة الشخصية للرؤساء ولا للقديسين، لأنها تُدرك أن هذا افتئات على الروح القدس الموجود والعامل في الكنيسة بصورة شخصية حيَّة.

إذا انحلّ الكاهن في حياته الشخصية الداخلية يفقد مؤازرة الروح القدس له في حياته الخاصة، ولكنه يبقى عاملاً بسلطانه.

أما إذا تصلَّف الكاهن وادَّعى لنفسه العصمة وتمسَّك برأيه وهو يعلم بأنه على خطأ، فإنه يفقد مؤازرة الروح القدس في حياته الخاصة والعامة. وقصة شاول الملك تنطق بذلك.

وليس الكهنوت فقط هو المعرَّض لفقدان مؤازرة الروح القدس، بل كل خادم وكل مؤمن يدَّعي العصمة في تفكيره أو في سيرته أو في كتابته أو في خدمته، يقع دون أن يدري في خطية احتكار وظيفة الروح القدس وينسى أنه في «أشياء كثيرة نعثر جميعنا.» (يع ٣:٢)

والنتيجة هي تخلية الروح القدس عن ذلك الخادم، فتتدهور حياته وينطفئ نوره مهما حاول الظهور باحتفاظه بمركزه.

الروح القدس مسرَّته أن يعمل معنا لأنه يستريح في الخدمة، حيث يشهد للمسيح كما نشهد نحن: «**هو يشهد** لي. **وتشهدون أنتم** أيضاً.» (يو ١٥:٢٦و٢٧)

✞ ✞ ✞

# سادساً: الاستيلائية في المسيحية

**١ ـ عطاء الفرد:**

المسيحية أخذ وعطاء، ولكن على المستوى الروحي.

الأخذ يكون من الله، والعطاء للناس: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي.» (يو ٧:٣٨)

ولكن لا الأخذ ولا العطاء هما على صعيد الذات. فالآخِذ لا يأخذ لنفسه، وأخذه لا يزيده إلاَّ إنكاراً لذاته وتنازُلاً عمَّا له: «لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة» (في ٣:٧). فإذا كمل أخذه من الله، كمل إخلاؤه لذاته وصار صالحاً لأن يُعطي الناس ما أخذه من عند الله.

والمعطي لا يُعطي مِمَّا له إذ ليس لنا ما نعطيه.

لا يمكن أن تكمل المسيحية إلاَّ على أساس الأخذ والعطاء.

الروح القدس هو عطية الله للناس، وكل مواهبنا وإمكانياتنا وكل ثمار المسيحية هي من الروح القدس.

ولكن الله لم يُعطِ الروح القدس لينحبس في بطون الناس: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي».

الاستيلائية هي أن نأخذ الروح القدس ثم نحبسه في بطوننا، والروح القدس لا ينحبس قط، و«كلمة الله لا تُقيَّد» (٢تي ٢:٩).

فهو إما يتفجَّر في النفس ليخرج مثل أنهار ماء، وإما يجف ينبوعه في النفس فتصير النفس إلى حالة قحط شديد وموات.

اسمع ما يقوله القديس أغسطينوس في هذا الأمر:

[إذا ظن إنسان أن ما يشربه هو لنفسه ولراحته، فإنه لن تجري من بطنه أنهار ماء حي؛ أما إذا سعى للعطاء فإنه لن يجف ينبوعه، لأن الفيضان يضمن سلامة الينبوع.][1]

لا يمكن أن يتم الأخذ إلاَّ بالعطش: «إن عطش أحد.» (يو ٧:٣٧)

كذلك لا يمكن العطاء إلاَّ بعد ارتواء: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار...».

الارتواء الروحي هو حالة إيمان بلغ إلى درجة الحب، أي حصل على انسكاب الروح القدس في القلب.

وحينما يرتوي الإنسان بحب المسيح وتستقر المحبة في بطنه لا يطيق نفسه. فالمحبة الإلهية يستحيل أن تبقى عاطلة، لابد أن تعمل عملها، وعمل المحبة الأول هو الفدية.

الإنسان إذا امتلأ محبة، لا يهدأ حتى يكمل الفدية، وفداء المحبة عطاء بلا حدود، عطاء مجنون يكاد فيه الإنسان ويودُّ أن يُذبح من أجل خلاص الناس.

وحينما يدخل الإنسان في درجة عطاء صحيحة من هذا النوع،

---

(١) St. August., *Tractate.* XXXII.

يدخل في سرِّ الروح القدس ويدخل في نور الصليب.

الذي يخفق أن يفهم ضرورة العطاء في المسيحية ويتوه عن الصلة التي تربط الأخذ بالعطاء، هو في حالة تغرُّب عن حقيقة الروح القدس.

فالروح القدس يكوِّن معنى العطية في المسيحية!
الروح القدس نفسه هو عطية الآب لنا.
الذي يأخذ الروح القدس، يأخذ قوة العطاء.
والذي يحيا بالروح، يحيا في عطاء مستمر.
ولا يستطيع أحد أن يحيا في الروح القدس ولا يُعطي.

**٢ ـ عطاء الكنيسة:**

ليس الفرد وحده هو المطالَب بقانون الأخذ والعطاء في المسيحية. فكل الجماعة مُطالَبة.

الكرازة قائمة أساساً على قانون الأخذ والعطاء: «مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا.» (مت ١٠: ٨)

العطية لا يقف في سبيلها عائق. والذي يُعطي بشرط، لا يأخذ.

والكنيسة إذا أخذت ولم تُعطِ، تحكم على نفسها بالانغلاق وينحبس عنها الروح القدس: «وويلٌ لكم أيها الناموسيون، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم.» (لو ١١: ٥٢)

الكرازة ليست أخذاً بل عطاءً. الكنيسة تُعطي نفسها وتبذل كل ما عندها ولا تشترط في بذلها وعطائها إلاَّ أن يأخذ الجميع مجاناً.

الراعي يجري وراء الخروف الضال، ينسى نفسه، ينسى كرامته، ينسى راحته، ينسى رزانته، يجري وراء الخروف الواحد حتى ولو أصابه في ذلك صليب.

إن تقاعَدَ الراعي وطلب راحة نفسه واحتفظ بكرامته، فليس الخروف الضال هو الذي سيضيع، بل والخروف الرابض في الحظيرة تأتي الذئاب لتخطفه: «حتى يُضِلّوا لو أمكن المختارين أيضاً.» (مت ٢٤:٢٤)

الراعي الذي لا يبذل نفسه، يحكم على نفسه أنه غريب عن الروح القدس. فالروح القدس ليس روح تقاعُد بل روح عطاء وبذل وفدية.

✞ ✞ ✞

# سابعاً: الانفصالية في المسيحية

الروح القدس يُجمِّع ويُوحِّد.

إذا لم تخضع النفس للروح القدس، يستحيل أن تنجمع أو تتحد بنفسٍ أخرى.

ليس في المسيحية انفصالية أو فردية. الكنيسة جماعة، والجماعة وحدة جسد وروح. الكنيسة كلها عروس واحدة.

الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته وينجمع بالآخرين بفعل المحبة، والمحبة تنسكب دائماً من الروح القدس في القلب المفتوح للآخرين!

إذا انغلق قلب إنسان في وجه إنسان ما، انقطع عنه تيار الحب الآتي من الروح القدس وتوقَّف عنه عطفً الله.

وكلما باشرنا فعل المحبة، اتسع قلبنا بالأكثر واكتسبنا عطف الله. المحبة انفتاح، وهي قوة تجميع؛ والفردية الانفصالية عداوة وتنافُر.

التحزُّب روح فردية في صورة جماعية، وهو انفصالية على مستوى متسع!

ليس في المسيحية فردية شخصية ولا انفصالية جماعية. فالمسيحية عدوَّة التحزُّب لأنها حب، والحب انفتاح للجميع.

والكنيسة تسعى للملء، والملء لا يتم إلاَّ بالانفتاح الكلِّي.

انفتاح الفرد بالحب للآخرين شهادة على بلوغه كمال المسيحية، وانفتاحه بالحب للأعداء شهادة على بلوغه ملء قامة المسيح.

الله أخلى نفسه ليتحد بجسم بشريتنا، وإخلاء الله لذاته كان قوةً ولم يكن ضعفاً، وكان فعلاً إلهياً!

فالإخلاء برهانُ المقدرة في صورتها المتضعة، وتكميله هو فاعلية المحبة، وغايته هو الاتحاد بالأضعف، ووسيلته تنازُل الأعلى لقبول الأدنى!!

إن لم يُباشر الإنسان فعل الإخلاء، يستحيل عليه أن يتحد بآخر.
وإذا لم تباشر الكنيسة فعل الإخلاء، فلن تبلغ إلى الملء.

الإخلاء يبدأ كأنه ذِلّة، كأنه استجداء، كأنه عبودية، كأنه ضياع؛ ولكنه ينتهي حتماً بالمجد ويبلغ إلى الملء.

ليس في الإخلاء فقدان ما على الإطلاق. فالمعطائية ليست فقداناً على أي وجه، فالذي يُعطي يزداد، ومغبوطٌ هو العطاء لأنه فعل الله.

يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الاتحاد، إلاّ إذا كان فيهما واحد على الأقل قد أخلى نفسه!

يستحيل أن تتقابل كنيستان لتتحدا على قياس الجسد الواحد، إلاّ إذا كانت واحدة فيهما قد بلغت درجة الإخلاء.

والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح القدس.

✞ ✞ ✞

# ثامناً: الانغلاقية التصوفية

التصوفية غير المسيحية محورها فناء الإنسان في الله.
أما التصوفية المسيحية فهي تحقيق وجود الإنسان في الله!

الإنسان الصوفي غير المسيحي يسعى ليتحد بالله وذلك بطريقين:
**الأول:** بأن يجعل نفسه طريقاً يصعد بها، بالتقشف الشديد والإماتة، ليبلغ بها حدَّ الألوهة.

**الثاني:** بأن يخرج عن نفسه ليهيم في عشق مُبهم نحو الله الواحد البعيد غير المدرَك.

وكِلاَ الحالتين تيه. فالإنسان والله يستحيل أن يتحدا بغير وسيط.

وكِلاَ الحالتين إنكار شديد لمعنى الإنسانية، إذ تُعتَبَر الإنسانية في نظر هذين المنهجين غير المسيحيين كأنها لا تستحق الوجود كما هي، ويلزم أن تتلاشى في الله.

وبالتالي، فهذان المنهجان هما تصوفية تشاؤمية ليس فيها فرح تحقيق الوجود الإنساني.

فالإنسان موجودٌ إلهي. كلما حقَّق وجوده في الله، كلما اكتمل فرحه.

غير أن هذين المنهجين لا يخلوان من فرحة كاذبة هي فرحة التغلُّب على الذات، وهذا في الواقع نوعٌ من تأليه "الأنا".

فالتقشف والنسك الشديد إذا لم يصحبهما فرحة تحقيق وجود الإنسان في الله بالاتحاد الحقيقي، فإنهما يصيران منهجاً لتقديس "الأنا" والوصول إلى درجة الاعتداد والألوهة، وهذه الحالة تُنشئ حالة فرح كاذب وغبطة خادعة.

ولماذا نحن نُقدِّم هذه المقدمة الخاصة بالتصوف غير المسيحي؟

ذلك لأننا نودُّ أن نقول كلمة صريحة ومُرَّة، وهي أن الحياة التصوفية المسيحية في بعض العصور دخلتها عناصر غريبة تستمد جذورها من التصوفات الأخرى، التي تُعطِّل النمو والامتلاء من الروح القدس، وتمنع حالة الوصول.

أما التصوفية المسيحية، فهي ليست سعياً بالنفس ولا سعياً خارج النفس لبلوغ الاتحاد بالله.

وطريقها ليس قائماً أساساً على التقشف الذاتي ولا الإماتة، وإن كانت لا تخلو من هذه المناهج على الطريق.

الطريق التصوفي في المسيحية لا يقوم على الذات أصلاً. فالاتحاد بالله يتم بوسيط هو الرب يسوع.

الرب يسوع وحده هو موحِّد الإنسانية بالألوهية في شخصه، فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس (١تي ٢:٥).

والاتحاد السرِّي في المسيح هو الذي يجعلنا في الله متحدين.

الاتحاد بالرب يسوع قائمٌ على أساس موت البشرية العتيقة فينا. وهنا فقط يدخل المنهج التصوفي كطريق مُكمِّل لعمل إماتة الإنسان العتيق فقط.

ولكن يخطئ أشد الخطأ مَن يفهم أن التصوفية المسيحية هي إماتة الإنسانية في معناها الكلّي. فهذه هي الانغلاقية المميتة التي تُقعِد بالمتصوف عن أن يبلغ الاتحاد الواقعي بالله في شخص يسوع المسيح.

إذن، فالتصوفية المسيحية لا تلغي قيمة الإنسانية حتى في وضعها الجسدي، ولا تسعى لملاشاة الغرائز والانفعالات الإنسانية الطبيعية؛ بل تكتفي **بتجديدها**، وتقف عند حدود استخدامها استخداماً سوياً لمجد الله وخير الإنسان. هي تُلاشي صورتها العتيقة الفاسدة وتُكسِبها وضعها الأصيل غير الفاسد استعداداً للقيامة العتيدة.

التصوفية المسيحية منهج خلاصي أصيل يبلغ بالإنسان إلى حالة تُهيِّئه للاتحاد بالله.

غاية الطريق التصوفي في المسيحية، هي بلوغ حالة التجديد البشري وتحقيقه للإنسان تحقيقاً واقعياً ملموساً، حيث يبلغ المتصوف غايته السعيدة بالاتحاد بالله على الطريق.

التصوفية المسيحية منهج اتحادي بالله على الطريق. والطريق التصوفي يبدأ مباشرة ومن أول خطوة بانفتاح القلب والوجدان والذهن لعمل الروح القدس، سعياً للاتحاد بالله في بساطة الإيمان بالرب يسوع.

والفرق بين طريق التصوف في المسيحية وفي غير المسيحية، هو أن في المسيحية يتحقق الوصول على الطريق، وفي غير المسيحية ينتهي الطريق ولا يتحقق شيء من الوصول.

والسبب واضحٌ، هو أن الطريق عندنا هو المسيح: «أنا هو الطريق...» (يو ١٤:٦)

التصوفية المسيحية انفتاحٌ للروح القدس، ودخولٌ مباشر لحالة ما فوق المادة وما فوق العالم وما فوق الذات بواسطة ومؤازرة الروح القدس!

الروح القدس هو الأقنوم الإلهي المُرسَل لنا ليُهيئ للإنسان الانتقال من حالة اتصال شديد بالعالم إلى حالة اتصال حقيقي بالله. وهذا هو جوهر التصوف.

وبغير الروح القدس **يستحيل** أن يتم هذا الانتقال، لأنه انتقال من مادة إلى روح.

التصوفية المسيحية حياة نسكية من الدرجة الأولى، لأن النسك والتقشف فيها هو انفعالية روحية صادقة وليس افتعالاً.

النسك آية عمل الروح القدس فينا وليس آية همتنا وجسارتنا وبأسنا. هو فعالية حب وليس تعذيب جسد.
فالله لا يسرُّ بتعذيب الناس، ولكنه يطلب عمل المحبة.

لذلك كان الاعتماد على الذات أو المناهج النسكية وحدها في حياة التصوف ينتهي بانغلاق الطريق التصوفي الموصل إلى الاتحاد بالله، ويُقعِد الإنسان في كآبة لا يُشرق عليها فرحة اللُّقيا بوجه الله.

✠ ✠ ✠

# تاسعاً: اللاهوتية العقلية في المسيحية

الله ليس نظرية جدلية يمكن أن نطرقها على مراحل أو نقترب إليها عقلياً من ناحية دون ناحية. هذه هي خطية الأبحاث العقلية في اللاهوت.

**الله حقيقة شخصية بسيطة كلّية**، إذا اقتربنا إليه اقتراباً صحيحاً فإننا نستوعبه وجدانياً وعقلياً مرة واحدة، ونحسه إحساساً حيًّا، وننفعل به انفعالاً كاملاً لا يقبل الشك ولا يحتاج إلى برهان.

يوحنا الرسول يُحقّق لنا هذا تحقيقاً واقعياً ملموساً بقوله: «الحياة أُظْهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم...» (١يو ١:٢)، وإنجيل يوحنا الرسول يشهد قائلاً: «رأينا مجده.» (يو ١:١٤)

والرب نفسه عيَّن وسيلة الرؤيا والمقابلة معه شخصياً: «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو ١١:٤٠)

والرب يسوع لم يتراءى بعد قيامته إلاَّ للذين آمنوا به: «وأَعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم.» (أع ١٠:٤٠و٤١)

وهو بذلك يكشف عن استعلانه أنه ليس على أساس الاجتهاد العقلي، ولكن عن طريق الإيمان البسيط.

الروح القدس يحلُّ في قلب الإنسان إذا آمن، وذلك ليقوده إلى المقابلة والرؤيا، ثم الاتحاد.

إذا أعوزنا الروح القدس، فجهادنا العقلي يكون كالهباء الذي تذريه الريح، ولن تتم المقابلة، ولن نبلغ الرؤيا، ولن نصل إلى حالة اتحاد مهما درسنا وبحثنا.

+ «**لا تطرحني** من قدام وجهك، وروحك القدوس **لا تنزعه** مني.» (مز ٥١: ١١)

إذا انتُزع منا الروح القدس، طُرحنا من أمام وجه الله لا محالة. وإذا أخذنا الروح القدس وبلغنا الملء، دخلنا الحضرة الإلهية وتراءينا أمام وجه الله لا محالة.

اللاهوتية العقلية الخالية من منهج النسك والعبادة والتأمل هي بعينها الوثنية الحديثة.

لقد اختفى شيطان الأوثان وانخذل أمام فاعلية إيمان المسيحية الأولى التي كانت ببرهان الروح تحيا وتعمل؛ ولكن الشيطان لم ينتهِ بعد، لقد عدَّل منهجه تجاه المسيحية، ونظَّم صفوفه وظهر مرة أخرى في هيئة أوثان عقلية، لها شكل المسيحية وصورتها، وتُرى عقلياً كملاك نور!!

اللاهوت العقلي يبحث باجتهاد شديد عن إله يتناسب مع العقل والمنطق. ولكن ليس بين عقل الإنسان والله نسبة على الإطلاق، ومنطق البشرية بعيدٌ عن منطق الله.

اللاهوت العقلي الذي يشغل أذهان غير الروحيين يحاول أن يُشكِّل مسيحاً جديداً. فهو يضيف على المسيح ما ليس له، ويحذف من المسيح ما له، حتى يصنع مسيحاً مناسباً مع فكر الإنسان.

وفكر الإنسان ليس واحداً في كل مكان. فعند اليونان فكر، وعند الرومان فكر، وعند القبط فكر، وعند الغرب فكر؛ وهيهات إنْ اتحدت الأفكار.

الروح القدس هو الذي يوحِّد الأفكار. فلا سبيل إلى تقابُل الناس جميعاً في المسيح الواحد الحقيقي إلاَّ إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة.

اللاهوت العقلي نَحَتَ للمسيح تماثيل كثيرة. وكل لاهوتي عقلي يسجد لتمثاله، ويجحد تمثال غيره.

اللاهوتيون العقليون قسموا المسيح الواحد ومزَّقوا الكنيسة.

الروح القدس أملنا الوحيد لتجميع القلوب في شخص يسوع.

يُطلب من:
**دار مجلة مـــــرقس**
**القاهرة:** ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
**الإسكندرية:** ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
**www.stmacariusmonastery.org**